مقدمة

كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس

فضيلة الشيخ إبراهيم نياس

قال سيدى زروق فى تأسيس القواعد مانصه: قال شيخنا أبو العباس الحضرمى رضى الله عنه: ارتفعت التربية بالاصطلاح، ولم يبق إلا الإفادة بالهمة والحال، فعليكم باتباع الكتاب والسنه من غير زيادة ولا نقصان الخ ما سيأتى قريبا، وهذا الكلام لايفهمه من لا ذوق له ولا علم ولا صدق بأن التربية انقطعت انقطاعا كليا، وذلك فى المائة التاسعة، ولم يرد ذلك ولا شيخه، وإنما مراده كما قال ابن عجيبة العلامة شارح الحكم فى إيقاظ الهمم، ونصه: فإن قلت قد قال الحضرمى: قد انقطعت التربية بالاصطلاح وما بقى إلا الهمة والحال، فعليكم بالكتاب والسنة، قلت: لم يقصد الحضرمى انقطاعها على الأب . وحاشا الحضرمى من أن يتحكم على الله ويعجز قدرته، ما أراد أن فى زمانه مدعين كثيرين، فحذر أهل زمانه منهم، ومعرفة الحضرمى وزروق رضى الله عنهما تنافى هذا القصد، وعلى تقدير صدورها منهما فليسا لمعصومين، فكل كلام يرد ويقبل إلا كلام صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، وقد وجد بعد الحضرمى رجال كانوا من أهل التربية النبوية بالحال والمقال والهمة لايمكن عددهم، وهم موجودون فى زماننا هذا، مشهورون كنار على علم، قد هدى الله على أيديهم خلقا كثيرا، وخرج على أيديهم من الأولياء ما لا يعلمهم إلا من الله عليه بمعرفتهم. اهـ منه بلفظ مؤلفه.

ومما يؤيد صاحب الإيقاظ أن القولة صدرت منهما فى القرن التاسع وقبل بروز الختم التجانى حامل راية التربية، ولا يشك فى كونه مربيا

من له أدنى تصديق أوتسليم، وكذلك الشيخ (السيد المختار الكنتى) ومن تخرج على يديهما من الرجال الكمل الذين بلغوا مبلغ الشيوخ المربين المرقين.

وقد قال العلامة العارف بالله سيدى (عبيدة بن محمد الصغير مؤلف كتاب ميزان الرحمة) فى مدح الشيخ التجانى رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين :

بخلوة ربى وربوا بخلوة ... فشتان ما بين اليزيدين منهلا

قال السيد العربى بن السائح رضى الله عنه: ومرادنا من كون التربية فى هذه الطريق خالية عن التزام الخلوة والاعتزال عن الناس ونحو ذلك مما فيه تشديد على النفس، وتضييق التنبيه على أن التربية فيها جارية على طريقة السلف الصالح من الصدر الأول، التى هى الطريقة الأصلية، وهى طريقة الشكر والفرح بالمنعم سبحانه والرياضة القلبية لا على الطريقة الأخرى التى استنبطها واصطلح على التسليك بها من بعد القرون الثلاثة نظرا لما اقتضته العوارض الوقتية، وهى طريقة المجاهدة والمكابدة والرياضة البدنية، وفرق بينهما، فإن السير فى الأولى سير القلوب، وفى الثانية سير الأبدان، ومعلوم أن الأهم الذى عليه المدار فى طريق الوصول إلى حضرة الله تعالى هو سير القلوب بالنظر فى أحوال القلب وما يصلحه وما يفسده على سنن الاعتدال والتقييد بالشريعة المطهرة والسنة الشريفة المنورة، لا على التضييق على النفس بالتقشف والا والاستخشان فى المأكل والملبس والكد والتعب من غير التفات إلى أحوال القلب على الحد الذى تقرر، وإنما آثر من بعد القرون الثلاثة التسليك بالطريقة الثانية لما كثرت الأهواء وتشعبت الآراء، فاستعانوا بذلك على تطهير النفس وتزكيتها ليستنير القلب ويتخلص من كدرات الهوى، وقد حذروا مع ذلك من الغلو فيه بالخروج عن حد الإتباع إلى حد الابتداع .

قال الشيخ أبو عبد الله بن عباد: وليس طريق تزكية النفس بقطع جميع الإرفاق عنها وردها إلى الاجتزار بأكل الحشيش والنخالة

والمبالغة فى التقشف والتقليل مع قطع النظر عن أحوال القلب وهممه وقصوده وإرادته، وترك الالتفات إلى ما يمدح منها وما يذم، فذلك كله غلو وبدعة، وقد غلط فى هذا طوائف من الناس عملوا عليه فى رياضتهم ومجاهدتهم، ولم يقصدوا بذلك إخلاص العبودية لربهم، فأداهم ذلك إلى اختلال عقولهم، وانحلال قوى أبدانهم، ولم يحصلوا من أمرهم على فائدة، وذلك لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف الأمة اهـ.

وقال أيضا أبو المواهب السيد العربى بن السائح فى الجواب الشافى مانصه: والقائمون بأعباء التربية فى طريقتنا - والحمد لله - كثيرون، لم يخل منهم منذ توفى سيدنا الشيخ رضى الله عنه قطر ولا زمان، بل ظهر منهم عدد فى حياته رضى الله عنه، إلا أنهم لا يتظاهرون بذلك لما لا يخفى من حكم الوقت فلا يعثر عليهم إلا من قيض الله تعالى له الانتفاع بهم، وذلك لما خصوا به ببركة أستاذهم من حالة الكمال المسماة عند المحققين من أهل هذا الشأن بالغيرة على الحق، وهى كتمان السرائر والأسرار، وهى حالة الأخفياء الأبرياء من الملامتة المجهولة حقائقهم، فلا يظهر منهم أمر يعرف به أن لله عناية بهم، لأنهم جارون مع العامة على ماعليه العامة من ظواهر الطاعات التى لم تجر العادة أن يسموا بها من أهل الله تعالى، وهذا أمر أقامهم الله تعالى فيه، وفضيلة حلاهم بها شعروا أو لم يشعروا اهـ.

وقال أيضا كما فى البغية بعد كلام: ومحصل هذه المسئلة أن أهل هذه الطريقة المحمدية يوجد فى أفرادها من يفتح له فى التربية بها: أى بتلقين وردها وجميع أذكارها بالشروط المشروطة والكيفيات المضبوطة، بحيث لايخرج عما حده الشيخ فى ذلك مما تلقاه عن النبى صلى الله عليه وسلم لأنها طريق محمدية أعطاها النبى صلى الله عليه وسلم للشيخ منه إليه، وضمن لأهلها ما ضمنه من الأسرار والخيرات والبركات، ولاسبيل إلى الخروج عما أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم وترتب ضمانه عليه، فافهم ذلك، وفى هذا القدر الذى نبهنا عليه من ذلك هنا كفاية والله ولى التوفيق والهداية .

وذكر شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا الختم التجاني رضى الله عنه مايدل على أن فى طريقته وتلامذته مشائخ التربية فى قوله الثابت عنه، ونصه كما فى الجامع: إذا فتح الله على أصحابى فالذى يجلس منهم عندى فى البلد الذى أنا فيه يخاف على نفسه من الهلاك، فقال له بعض أصحابه : منك أو من الله ؟ فأجابه : من الله من غير اختيار منى، ذكر هذا فى يوم الأحد الثانى من شهر الله شعبان عام 1224 ثم قال فى يوم الاثنين : الخوف المذكور هو على من أذن له من أصحابى فى التصرف والتربية للخلق اهـ المراد بلفظه.

ونص كلام سيدى زروق كما فى تأسيس القواعد: خاتمة، قال شيخنا أبو العباس الحضرمي رضى الله عنه: ارتفعت التربية بالاصطلاح ولم يبق إلا الإفادة بالهمة والحال، فعليكم باتباع الكتاب والسنة من غير زيادة ولانقصان وذلك جار فى معاملة الحق والنفس والخلق، فأما معاملة الحق فبثلاث: إقامة الفرائض، واجتناب المحرمات، والاستسلام للحكم. وأما معاملة النفس فبثلاث: الإنصاف بالحق، وترك الانتصار لها، والحذر من غوائلها فى الجلب والدفع والرد والقبول والإقبال والإدبار.

وأما معاملة الخلق فبثلاث: توصيل حقوقهم لهم، والتعفف عما فى أيديهم، والفرار مما يغير قلوبهم إلا فى حق واجب لامحيد عنه، وكل مريد مال لركوب الخيل أو آثار المصالح العامة، أو اشتغل بتغيير المنكر فى العكموم أو التوجه للجهاد دون غيره من الفضائل أو معه حال كونه فى فسحة منه، أو أراد استيفاء الفضائل أو تتبع عورات إخوانه وغيرهم أو متعللا بالتحذير أو عمل بالسماع على وجه الدوام أو أكثر الجمع والاجتماع لا لتعلم أو تعليم أو مال لأرباب الدنيا بعلة الديانة أو أخذ بالرقائق والدقائق دون المعاملة، وما ينبه عن العيوب، أو تصدى للتربية من غير تقديم شيخ أو إمام أو عالم، أو اتباع كل ناعق وقائل بحق أوباطل من غير تفصيل لأحواله، أوإستهان منتسبا لله وإن ظن عدم صدقه بعلامة أو مال للرخص أو التأويلات، أو قدم الباطن على الظاهر، أو اكتفى بالظاهر عن الباطن، أو أتى من أحدهما بما لايوافق عليه الآخر، أو اكتفى بالعلم عن العمل، أو بالعمل عن

الحال والعلم، أو بالحال لاعنهما، ولم يكن له أصل يرجع إليه فى علمه وعمله وحاله وديانته من الأصول المسلمة فى كتب الأئمة ككتب ابن عطاء الله فى الباطن، وخصوصا التنوير، ومدخل ابن الحاج فى الظاهر، وكتاب شيخه ابن أبى جمرة ومن تبعهما من المحققين، فهو هالك لانجاة له، ومن أخذهما فهو ناج مسلم إن شاء الله، والعصمة منه والتوفيق.

"وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: عليكم أنفسكم -الآية، فقال : إذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعا، وإعجاب كل ذى رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك" [1]وقال عليه الصلاة والسلام فى صحف إبراهيم "وعلى العاقل أن يكون عارفا بزمنه، ممسكا للسانه، مقبلا على شأنه، وعلى العاقل أن يكون له أربع ساعات: ساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يناجى فيها ربه، وساعة يفضى فيها إلى إخوانه الذين يبصرونه بعيوبه ويدلونه على ربه، وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين شهواتها المباحة" أو كما قال: رزقنا الله ذلك وأعاننا عليه، ووفقنا، وصحبنا بالعافية فيه، فإنه لا غنى لنا عن عاقبته، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

ومن تأمل كلامه بنفسه من أوله إلى آخره عرف وجه المراد، ولذا قال العارف بالله السيد العربى بن السائح: والمراد بالتربية فى هذا المحط هو التربية بالاصطلاح الذى أحدثه من بعد أهل القرون الثلاثة، وهى التى ذكر الشيخ زروق عن بعض أشياخه أنها انقطعت، وتابعه على ذلك المحقق اليوسى رحمه الله تعالى، وليس المراد عندهم أن التربية بمعنى الإرشاد بالكتاب والسنة وتلقين الذكر ونحوه، مما يزيح الباطل من النفس، ويقطع العلائق والعوائق عنها بسبب استعانتها على ذلك بمدد الشيخ وهمته على حسب مأذن له من حضرة الله فى سره،أو حضرة رسوله صلى الله عليه وسلم يقظة أو مناما قد انقطعت، حاشا أهل الله من ذلك، وانظر الذهب الإبريز، انتهى كلامه بلفظه.

ونص كلام الشيخ عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه فى الذهب الإبريز فى الجواب عن المسئلة: إن المقصود من التربية هو تصفيه النفس

وتطهيرها من رعوناتها حتى تطيق حمل السر، وليس ذلك إلا بإزالة الظلام منها، وقطع علائق الباطل عن وجهتها، ثم قطع الباطل عنها تارة يكون بصفائها فى أصل خلقتها بأن يطهرها الله بلا واسطة، وهذه حالة القرون الثلاثة الفاضلة الذين هم خير القرون، فقد كان الناس فى تلك القرون متعلقين بالحق باحثين عليه، إذا ناموا ناموا عليه، وإذا استيقظوا استيقظوا عليه، وإذا تحركوا تحركوا فيه حتى إن من فتح الله بصيرته ونظر إلى بواطنهم وجد عقولهم إلا النادر متعلقة بالله ورسوله، باحثة عن الوصول إلى مرضاته، فلهذا كثر فيهم الخير ! وسطع فى ذواتهم نور الحق، وظهر فيهم من العلم والبلوغ درجة الاجتهاد مالا يكيف ولا يطاق، فكانت التربية فى هذه القرون غير محتاج إليها، وإنمكا يلقى الشيخ مريده وصاحب سره ووارث نوره، فيكلمه فى أذنه فيقع الفتح للمريد بمجرد ذلك لطهارة الذوات وصفاء العقول وتشوقها إلى نهج الرشاد، وتارة يكون بتسبب من الشيخ فيه: أعنى قطع الظلام من الذولات، وذلك فيما بعد القرون الفاضلة، فسدت النيات وكسدت الطويات وصارت العقول متعلقة بالدنيا، باحثة عن الوصول إلى نيل الشهوات واستيفاء اللذات، فصار الشيخ صاحب البصيرة يلقى مريده ووارثه فيعرفه، وينظر إليه فيجد عقله متعلقا بالباطل ونيل الشهوات، ويجد ذاته تتبع العقل فى ذلك، فتلهو مع اللاهين وتسهو مع الساهين وتميل مع المبطلين، وتتحرك الجوارح فى ذلك حركة غير محمودة من حيث إن العقل الذى هو مالكها مربوط بالباطل لابالحق، فإذا وجده على هذه الحالة أمره بالخلوة وبالذكر وبتقليل الأكل، فبالخلوة ينقطع عن المبطلين الذين هم فى عداد الموتى، وبالذكر يزول كلام الباطل واللهو واللغو الذى كان فى لسانه، وبتقليل الأكل يقل البخار الذى فى الدم فتقل الشهوة، فيرجع العقل إلى التعلق بالله وبرسوله، فإذا بلغ إلى هذه الطهارة والصفاء، أطاقت ذاته حمل السر، فهذا هو غرض الشيوخ من التربية وإدخال الخلوة، ثم بقى الأمر على هذا مدة إلى أن اختلط الحق بالباطل والنور بالظلام، فصار أهل الباطل يربون من يأتيهم بإدخال الخلوة وتلقين الأسماء على نية فاسدة وغرض مخالف للحق، وقد يضيفون إلى ذلك عزائم واستخدامات، تفضى بهذا إلى مكر الله تعالى واستدراجات، وكثر هذا الأمر فى الأعصار التى أدركها الشيخ زروق رضى الله عنه وأدركها

شيوخه، فظهر لهم من النصيحة لله ولرسوله أن يشيروا على الناس بالرجوع عن هذه التربية التى كثر فيها المبطلون، وأن يقفوا بالناس فى ساحة الأمن التى لاخوف فيها ولا حزن، وهى اتباع السنة والكتاب اللذين لايضل من اهتدى بهما، فكلامهم رضى الله عنهم خرج مخرج النصيحة والاحتياط، ولم يريدوا رضى الله عنهم الانقطاع رأسا للتربية الحقيقية، وحاشاهم من ذلك، فإن نور النبى صلى الله عليه وسلم باق وخبره شامل وبركاته عامة إلى يوم القيامة اهـ.

قلت: والآيات القرآنية والأحاديث النبوية فيها إشارات وتصريحات فى التبشير بهذه الطائفة الظاهرين على الحق ولم تخص بزمان دون زمان، ولامكان دون مكان، وقال تعالى {وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون} (سورة الأعراف: 181) قال الشيخ العلامة العارف بالله سيدى الصاوى فى حاشيته على قول الجلل : وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث: أى وهو قوله صلى الله عليه وسلم " لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق إلى أن يأتى أمر الله" [2].

وعن معاوية قال وهو يخطب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لاتزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك" وهذه الطائفة لاتختص بزمان دون زمان، ولامكان دون مكان، بل هم فى كل مكان وفى كل زمان، فالإسلام دائما يعلو ولا يعلى عليه، وإن كثر الفساق وأهل الشر فلا عبرة بهم ولا صولة لهم، وفى هذا بشارة لهذه الأمة المحمدية بأن الإسلام فى علو وشرف وأهله كذلك إلى قرب يوم القيامة حتى تموت حملة القرآن والعلماء، وينزع القرآن من المصاحف وتأتى الريح اللينة فيمكوت كل من كان فيه مثقال ذرة من الإيمان، ولايكون هذا الأمر إلا بعد وفاة عيسى عليه الصلاة والسلام اهـ.

قلت: وفاة عيسى لا تكون إلا بعد أن يقتل الدجال ويعيش أربعين عاما. كما تكررت فى ذلك الأحاديث، ولا يأتى الدجال إلا بعد المهدى بسبع سنين على رأس مائة، وفى رواية "لاتزال طائفة بالمغرب، يعنى مقام الختمية والكتمية لأنه محل الأسرار والكتم، وانظر الفتوحات وانظر

كتابة الذى سماه "عنقاء مغرب فى ختم الأولياء وشمس المغرب" انظر البغية، وقال تعالى: {ثلة من الأولين 39 وثلة من الآخرين} (سورة الواقعة :39-40).

وروى ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الثلتان من أمتى" [3] انظر الجواهر الحسان، وفى نسيم الرياض لشهاب الدين الخفاجى عند شرحه لحديث "خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم [4] بعد كلام فلا ينافيه حديث "أمتى كالمطر لا يدرى الخير فى أوله أم فى آخره" [5] فإن هذا من واد، وذلك من واد آخر، وهذا إشارة إلى أنه قد يجئ فى الأمة من ينفع الناس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه، وهذا بالنظر لأفراد مخصوصة، وذلك بالنظر لمجموع العصر وشتان مابينهما، ولذا عبر بالقرن، انظر نسيم الرياض
وقال الشيخ زروق رضى الله عنه فى تأسيس القواعد: النظر للأزمنة والأشخاص لامن حيث أصل شرعى أمر جاهلى، حيث قال الكفار {لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم } فرد الله تعالى عليهم بقوله: الآية {أهم يقسمون رحمت ربك} (سورة الزخرف : 31) الآية: {قالوا إنا وجدنا ءاباءنا على أمة وإنا على ءاثرهم مهتدون} (سورة الزخرف : 22) فرد الله عليهم بقوله: {قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه ءاباءكم } (سورة الزخرف :24) الآية، فلزم النظر لعموم فضل الله تعالى من غير مبالاة بوقت ولاشخص، إلا من خصه قوله تعالى به، والأولياء فى ذلك تبع للأنبياء، لأن الكرامة شاهد المعجزة، والعلماء ورثة الأنبياء فى الحرمة والرحمة وإن تباينا فى أصل الفضل فافهم اهـ منه .

وقد قال شيخنا ووسيلتنا وقوت أرواحنا وممدنا، القطب الغوث الخاتم المحمدى فى قوله تعالى {وثلة من الآخرين }(سورة الواقعة :40) هم أصحابنا، انظر بعين الإنصاف تجد له تمام الوراثة حتى صارت فى الأمة الثلتان، ثلة لجده وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وثلة له وهم أصحابه رضى الله عنه، وبقى من الإشارات ما أحجدم قلمى عن كتبه .

وفى السر أسرار دقاق لطيفة ... تراق دمانا جهرة لو بها بحنا

وبهذا تعلم أن انقطاع مدد النبى صلى الله عليه وسلمك أو انتقاص نور نبوته لايقوله من له أدنى مرتبة من مراتب الإيمان .

وقال شيخنا رضى الله عنه كما فى الجامع والجواهر: اعلم أنه كان صلى الله عليه وسلم يلقى الأحكام العامة للعامة فى حياته : يعنى إذا حرم شيئا حرمه على الجميع . وإذا افترض شيئا افترضه على الجميع، وكذلك سائر الأحكام الشرعية الظاهرة، ومع ذلك كله كان صلى الله عليه وسلم يلقى الخاصة للخاصة، وكان يخص ببعض الأمور بعض الصحابة دون بعض وهو شائع ذائع فى أخباره صلى الله عليه وسلم، فلما انتقل إلى الدار الآخرة وهو كحياته فى الدنيا سواء، صار يلقى إلى أمته الأمر الخاص للخاص ولا مدخل للأمر العام للعام، فإنه انقطع بموته صلى الله عليه وسلم وبقى فيضه للأمر الخاص للخاص، ومن توهم أنه صلى الله عليه وسلم انقطع جميع مدده على أمته كسائر الأموات فقد جهل رتبة النبى صلى الله عليه وسلم، وأساء الأدب معه، ويخشى عليه أن يموت كافرا إن لم يتب من هذا الاعتقاد، ا هـ منه بلفظه .

وهذا آخر المقدمة، والحمد لله رب العالمين، وسيأتى مزيد بيان فى المسئلة عند الكلام على شيخ التربية وصفته إن شاء الله تعالى، والله الموفق للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1]أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الملاحم باب الأمر والنهى **121/4** ح رقم **4341** حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود العتكى ثنا ابن المبارك

عن عتبة بن أبى حكيم قال حدثنى عمرو بن جارية اللخمى حدثنى أبو أمية الشعبانى قال سألت أبا ثعلبة الخشنى فقلت : يا أبا ثعلبة كيف تقول فى هذه الآية " عليكم أنفسكم " قال أما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأية فعليك - يعنى بنفسك - ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام (الصبر) الصبر فيه مثل قبض على جمرة للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله " وزاد فى غيره قال : يارسول الله أجر خمسين منهم ؟ قال أجر خمسين منكم " وسكت عنه أبو داود . طبعة دار الحديث القاهرة .

وأخرجه الإمام الترمذى فى سننه كتاب التفسير فى سورة المائدة جـ 5ص 257 -258 رقم 3058 - حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقانى حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا عتبة بن أبى حكيم إلى آخر سند أبو داود ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب ط / دار الحديث بالقاهرة تحقيق إبراهيم عطوة .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الفتن باب قوله تعالى : {يأأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم } 1330/2-1331ح رقم 4014 حدثنا هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد حدثنى عتبة بن أبى ح0كيم إلى آخر أبو داود ولفظه ط عيسى الحلبى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

[2]أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الإعتصام (10) باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل علم ح رقم 7311 حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال : " لاتزال طائفة من امتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرين ط مكتبة الإيمان بالمنصورة أمام جامعة الأزهر سنة 1419هـ -1998 م .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم 1523/1 ح رقم 1920 - حدثنا سعيد بن منصور وأبو الربيع العتكى وقتيبة بن سعيد قالوا حدثنا حماد وهو ابن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان قفال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك وليس فى حديث قتيبة وهم كذلك".

وفى الباب عن معاوية بلفظ يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتزال طائفة من أمتى قائمة بأمر اللهخ لايضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرين على الناس . ط / عيسى الحلبى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها 95/4 ح رقم 4252 - من طريق محمد بن عيسى وسلمان بن حرب قالا ثنا حماد بن زيد عن أيوب إلى آخر طريق مسلم ولفظه إلا أنه جزء من حديث طويل .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الفتن باب ما جاء فى الأئمة المضلين ح رقم 2229 حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حماد بن زيد إلى آخر طريق مسلم ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه أحمد فى مسنده 279/5 مسند ثوبان رضى الله عنه من طريق يونس ثنا حماد يعنى ابن زيد عن أيوب إلى آخر سيند مسلم ولفظه ط بيروت لبنان

[3] أخرجه المام ابن جرير الطبرى فى تفسيره جامع البيان عن تأويل آى القرآن سورة الواقعة قوله تعالى ثلة من الأولين وثلة من الآخرين - حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبان بن أبى عياش

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس " ثلة من الأولين وثلة من الآخرين " قال قال النبى صلى الله عليه وسلم : هما جميعا من أمتى .

وفى تفسير الآية قال ابن جرير وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم ومن وجه صحيح قال قال النبى صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من أمتى، طبعة مصطفى الحلبى وأولاده بمصر الطبعة الثانية سنة 1388هـ -سنة 1968م .

وأورده الإمام الهيثمى فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد كتاب التفسير باب سورة الواقعة 118/7 -119 عن أبى بكرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قال جميعهما من هذه الأمة وعزاه الهيثمى إلى الطبرانى بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح غير على بن زيد وهو ثقة سيئ الحفظ . ط القدسى .

[4] أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الشهادات باب لايشهد على شهادة جور إذا أشهد 161/2 ح رقم 2651 حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا أبو جمرة قال سمعت آدم زهدم بن مضرب قال سمعت عمران بن حصين رضى الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم "خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . قال عمران لا أدرى أذكر النبى صلى الله عليه وسشلم بعد قرنين أو ثلاثة قال النبى صلى الله عليه وسلم " إن بعدكم قوما يخونون ولايؤتمنون ويشهدون ولايستشهدون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن، كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم باب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن صحب النبى صلى الله عليه وسلم أورآه من المسلمين فهو من أصحابه ص 426 ح 3650 - حدثنا إسحاق حدثنا النضر أخبرنا شعبة إلى آخر الطريق السابق وبلفظ خير أمتى أمتى قرنى ... الخ .

كتاب الرقاق باب مايحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها 181/4 ح رقم 6428 - حدثنى محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة قال سمعت أبا جمرة إلى آخر الطريق الأول ولفظه .

وأخرجه الامام مسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم 1964/4 ح رقم 2535 حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ومحجمد بن المثنى وابن بشار جميعا عن غتدر قال ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا جمرة إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه النسائى فى سننه كتاب الأيمان والنذور باب الوفاء بالنذر 17/7-18- أخبرنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا خالد قال حدثنا شعبة .... به .

وأخرجه أحمد فى مسنده 436/4 من طريق يحيى بن سعد حدثنا شعبة حدثنى أبو جمرة ... به .

وأخرجه الطحاوى فى شرح معانى الآثار كتاب القضاء والشهادات باب الرجل يكون عنده الشهادة للرجل هل يجب عليه أن يخبره بها وهل يقبله الحاكم على ذلك أم لا ؟ 151/4 - حدثنا ابن مرزوق قال ثنا بشر بن ثابت البزار قال ثنا شعبة .... به

وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير 233/18

[5]أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الأمثال باب رقم 6 حـ5 ص 152 ح رقم 2869 - حدثنا قتيبة . حدثنا حماد بن يحى الأبح عن ثابت البنانى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أمتى مثل المطر لايدرى أوله خير أم آخره، وقال أبو عيسى وفى الباب عن عمار وعبد الله بن عمر وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وأخرجه أحمد فى مسنده 130/3 مسند أنس بن مالك رضى الله عنه

حدثنا الحسن الأشيب ثنا حماد بن يحيى حدثنا ثابت الابنانى عن أنس ثم ذكره بمثل رواية الترمذى . ص 143 بنفس الطريق واللفظ.

فى حقيقة التصوف وأصل تلقين الأذكار

فأقول وبالله التوفيق، وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق:

التصوف : له حد وموضوع وواضع واسم واستمداد وحكم ومسائا وفضيلة ونسبة وثمرة . وقال الصاوى : ينبغى لكل شارع فى فن أن يعرف مباديهع العشرة الخ، وقد نظمها بعضهم فقال .

الحد والموضوع ثم الواضع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع

تصور المسائل الفضيلة ... ونسبة فائدة جليله

حق على طالب علم أن يحيط ... بفهم ذى العشرة ميزها ينيط

يعلمها قبل الشروع فى الطلب ... لكى يكون مبصرا بما طلب

وأما حده : فكما قال زروق رضى الله عنه : قد حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الألفين ترجع كلها إلى صدق التوجه إلى الله تعالى، وإنما هى وجوه فيه، والله أعلم . وفى (إيقاظ الهمم) قال الجنيد : هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به . وقال أيضا : أن تكون من الله بلا علاقة . وقيل الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى، أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم مع قوم كرام .وقيل أنلاتملك شيئا ولايملكك شئ . وقيل استرسال النفس مع الله على مايريد . قال بعضهم .

ليس التصوف ليس الصوف والخلق

بل التصوف حسن السمت والخلق

وقال غيره

ليس التصوف لبس الثوب ترقعه

ولا بكاؤك إن غنى المغنونا

ولا صياح ولا رقص ولا طرب

ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا

بل التصوف أن تصفوا بلا كدر

وتتبع الحق و القرآن و الدينا

وغير ذلك مما يرجع كله إلى قول سيدى زروق .

وقال فى (إيقاظ الهمم) بعد كلام تقدم ذكر طرف منه ناقلا لكلام سيدى زروق فى قول إمامنا مالك رحمه الله من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق، ونصه: قلت (تزندق الأول) لأنه قائل الجبر الموجب لنفى الحكمة والأحكام (وتفسق الثانى) لخلو عمله من صدق التوجه الحاجز عن معصيةو الله وعن الإخلاص المشترط فى الأعمال. (وتحقق الثالث) لقيامة بالحقيقة فى عين تمسكه بالحق، فاعرف ذلك إذلا وجود لها إلا فيها، كما لاكمال له إلا به فافهم أ هـ .

ثم قال: وأما موضوعه فهو الذات العلية لأنه يبحث عنها باعتبار

معرفتها إما بالبرهان أو بالشهود والعيان، فالأول للطالبين، والثانى للواصلين . وقيل : موضوعه النفوس والقلوب والأرواح لأنه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها وهو قريب من الأول، ولأن من عرف نفسه عرف ربه .

وأما واضعه: فهو النبى صلى الله عليه وسلم علمه الله له بالوحى والإلهام، فنزل جبريل عليه السلام أولا بالشريعة، فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة، فخص بها بعضا دون بعض، وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا على كرم الله وجهه، وأخذ عنه جميع الصوفية وسلسلتهم مشهورة فى كتبهم، إلا أن سيدنا ومولانا وشيخنا ووسيلتنا إلى ربنا أبا العباس أحمد بن محمد التجانى الحسنى من الله عليه بالأخذ عن النبى مشافهة من غير وساطة أحد من المشائخ، وسندنا منه كما ستقف عليه بإذن الله فى هذا الكتاب .

وأما اسمه فعلم التصوف، واختلفوا فى اشتقاقه : قال فى (إيقاظ الهمم) ومرجعها إلى خمس: أولها أنه من الصوفة لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له. الثانى من صوفه القفا للينها، فالصوفى هين لين كهى. الثالث أنه من الصفة، إذ جملتها اتصاف بالمحامد وترك الأوصاف المذمومة . الرابع أنه من الصفاء، وصحح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستى رحمه الله فى الصوفى.

تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا

جهلا وظنوه مشتقا من الصوف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى

صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

قلت: وهذا الوجه هو أوجه الأوجه عندى، والله أعلم . الخامس أنه

منقول من صفة المسجد النبوى الذى كان منزلا لأهل الصفة، لأن الصوفى تبع لهم فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال {واصبرنفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشى يريدون وجهه} (سورة الكهف) وهو الأصل الذى يرجع إليه كل قول فيه، قال الشيخ زروق رحمه الله

وأما استمداده: فهو مستمد من الكتاب والسنة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين، وقد أدخلوا فيه أشياء من علم الفقه لمس الحاجة إليه فى علم التصوف، حررها الغزالى فى الإحياء الخ فى أربعة كتب : كتاب العبادات، وكتاب العادات، وكتاب المهلكات، وكتاب المنجيات، وهو فيه كمال لاشرط إلا مالابد منه فى باب العبادات، والله تعالى أعلم.

وأما حكم الشارع فيه: فقال الغزالى: إنه فرض عين إذ لايخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم السلام . وقال الشاذلى : من لم يتغلغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لايشعر .

وأما تصور مسائله: فهى معرفة اصطلاحاته والكلمات التى تداولت بين القوم كالإخلاص والصدق والتوكل والزهد والورع والرضى والتسليم والمحبة والفناء والبقاء، وكالذات والصفات والقدرة والحكمة والروحانية والبشرية، وكمعرفة حقيقة الحال والوارد والمقام وغير ذلك .

وأما فضيلته: فقد تقدم أن موضعه الذات العلية وهى أفضل على الإطلاق، فالعلم الذى يتعلق بها أفضل على الإطلاق، إذا هو دال بأوله على خشية الله تعالى وبوسطه على معاملته، وبآخره على معرفته والانقطاع إليه، ولذلك قال الجنيد : لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه . وقال الشيخ المقلى رضى الله عنه فى كتابه المسمى " بأنوار القلوب فى العلم

الموهوب " قال : وكل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة، وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة، وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذى لايدرك، والبحر الذى لاينزف. وقال آخر: إذا رأيت من فتح له فى التصديق بهذا الطريق فبشره، وإذا رأيت من فتح له فى الفهم فاغتبطه، وإذا رايت من فتح له فى النطق فيه فعظمه، وإذا رأيت منتقدا عليه ففر منه فرارك من الأسد واهجره، وما من علم إلا وقد يقع الاستغناء عنه فى وقت ما إلا علم التصوف فلا يستغنى عنه أحد فى وقت من الأوقات .

وأما نسبته من العلوم: فهو كلى لها وشرط فيها، إذ لاعلم ولاعمل إلابصدق التوجه إلى الله تعالى، فلإخلاص شرط فى الجميع، هذا باعتبار الصحة الشرعية والجزاء والثواب. وأما باعتبار الوجود الخارجى فالعلوم توجد فى الخارج بدون التصوف لكنها ناقصة أو ساقطة، ولذلك قال السيوطى: نسبة التصوف من العلوم كعلم البيان مع النحو - يعنى هو كمال فيها ومحسن لها . وقال الشيخ زروق رضى الله عنه: نسبة التصوف من الدين نسبة الروح من الجسد، لأنه مقام الإحسان الذى فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل "أن تعبد الله كأنك تراه" الحديث [1] مشاهدة، وإما مشاهدة بعد مراقبة، والا لم يقم له وجود ولم يظهر له موجود فافهم أ هـ . ولعله أراد بالمراقبة بعد المشاهدة الرجوع للبقاء بشهود الأثر بالله.

وأما فائدته : فتهذيب القلوب ومعرفة علام الغيوب، أو نقول: ثمرته سخاوة النفوس وسلامة الصدور وحسن الخلق مع كل مخلوق.

واعلم أن هذا العلم الذى ذكرنا ليس هو القلقة باللسان، وإنما هو أذواق ووجدان، ولا يؤخذ من الأوراق، وإنما يؤخذ من أهل الأذواق، وليس ينال بالقليل والقال، وإنما يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة أهل الكمال، والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح وبالله التوفيق اهـ منه بحذف وزيادة لإى بعض المواضع .

وقد سئل سيدنا ومولانا وأستاذنا السيد أبو العباس التجانى رضى الله عنه عن حقيقة التصوف، فأجاب رضى الله عنه بقوله: اعلم أن التصوف هو امتثال الأمر واجتناب النهى فى الظاهر والباطن من حيث يرضى لامن حيث ترضى اهـ .

قلت: ولاسبيل إلى هذا بدون مصاحبة شيخ مرشد كامل، قال تعالى: {يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة } (سورة المائدة: 35) والوسائل إلى الله كثيرة، منها متابعة النبى فى أقواله وأفعاله كما قال تعالى : {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله} (سورة لقمان : 5) وفى الحديث [2] "فإذا أحببته كنته" وذلك باب المعرفة. ومنها مصاحبة العارف الوصل كما قال تعالى: { واتبع سبيل من أناب إلى } (سورة لقمان : 15) ومنها ملازمة الأذكار، قال الله تعالى: { واصبر نفسك مع الذين يدعون رنهم بالغدوة والعشى يريدون وجهه} (سورة الكهف: 28) ومعلوم عند أهل الطريقة أن الذكر الذى ينفع صاحبه هوالمأخوذ من المشائخ الكاملين

وأما أصل تلقين الأذكار والأوراد، فقد روى الإمام أحمد فى مسنده بإسناد حسن والطبرانى وغيرهما عن يعلى بن شداد قال : حدثنى أبى شداد بن أوس وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال:" كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال: هل فيكم غريب؟: يعنى من أهل الكتاب، فقلنا: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب وقال: ارفعوا ايديكم وقولوا: لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا ساعة، ثم قال: الحمد لله اللهم إنك بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدتنى الجنة عليها وإنك لاتخلف الميعاد، ثم قال: أبشروا فإن الله قد غفر لكم " [3]قال ابن حجر العسقلانى: رواه أحمد بإسناد حسن والطبرانى، وزاد فيه "فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعنا، وقال فيه: قال : ضعوا أيديكم وأبشروا فقد غفر لكم".

وروى الشيخ يوسف الكوزانى الشهير بالعجمى فى رسالته "أن على بن أبى طالب سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله دلنى

على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى؟ فقال صلى الله عليه وسلم : يا على عليك بمداومة ذكر الله تعالى فى الخلوات، فقال على : هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون، فقيا على لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول : لا إله إلا الله، فقال على : فكيف أذكر يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: غمض عينيك واسمع منى ثلاث مرات. ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلى يسمع، ثم قال على رضى الله عنه : لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع " اهـ. والحديثان أوردهما صاحب الرماح، ثم لقنهما على للحسن البصرى، ثم الحسن لحبيب العجمى. ثم حبيب لداود الطائى، ثم داود لمعروف الكرخى، ثم معروف للسرى ثم السرى للجنيد ثم انتقلت إلى أرباب التربية إلى ماشاء الله، وهما أصل تلقين الأوراد والأذكار إلى هلم جرا .

وأما وجوب طلب الشيخ المرشد كما سيأتى فقد اكثروا فيه . قال :

يصحب شيخا عارف المسالك .

يقيه فى طريقه المهالك

لأنك إن أردت العلم والعمل فلابد لك منه، وأما الإفادة بالهمة والحال فقد قال فى الشمائل : قال أنس : لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شئ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شئ، وما نفضنا ايدينا من التراب وإنا لفى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا . يشير إلى أن حضور شخصه صلى الله عليه وسلم كان نافعا لهم فى قلوبهم، وذلك هو المعبر عنه بالإفادة بالهمة والحال، ومن المعلوم أن العلماء ورثه الأنبياء، فلابد من طلب القرب منهم إذ قالوا: من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها . وقال فى الرسالة القشيرية : ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ، فإن لم يكن

له أستاذ لايفلح أبدا، هذا أبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان وقد سئل سيدنا وأستاذنا أبو العباس أحمد بن محمد التجانى الشريف رضى الله عنه ونفعنا به دنيا وأخرى، هل طلب الشيخ فرض على كل فرد فرد، أو على البعض دون البعض، وما السبب فى الكل؟ فأجاب رضى الله عنه بما يأتى فى بابه مستوفى .

قال شيخ المشائخ العلامة العارف الربانى سيدى المختار الكنتى . وأما حقيقة الأوراد فإنها عقود وعهود أخذها الله على عباده بولسطة المشائخ، فمن يجل المشائخ وحافظ على العقود ووفى بالعهود كان ذلك سببا لزيغه وخرق سفينة دينه، قال الله تعالى : { يأيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود } (سورة المائدة : 1) وقال : { كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون} (سورة الصف : 3) وقال سبحانه { من المؤمنين رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (23) ليجزى الله الصادقين بصدقهم} (سورة الأحزاب : 23) الآية، ولهذا المعنى كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يفعل فعلا من أفعال الخير إلا أثبته ودام عليه، وذلك من علامات الجزم وتمام العزم، وهذه الآيات هى أصول الأوراد من لدن النبى صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم " من كان على ورد من صلاة أو صيام أو غيرهما فمنعه مرض أو سفر أو هرم كان له الأجر تاما " وقال عليه الصلاة والسلام "بجلو المشائخ فإن تبجيلهم من تعظيم جلال الله "[4]وهذا آخر الفصل الأول والله تعالى الموفق للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1]أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإحسان وعلم الساعة وبيان النبى صلى الله عليه وسلم له 54/1- 55 ح رقم 50 حدثنا مسدد قال : حدثنا إسماعيل بن ابراهيم أخبرنا أبو حيان التيمى عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال كان النبى صلى الله عليه وسلم بارزا للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته . وبلقائه ورسوله

وتؤمن بالبعث قال ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد الله ولاتشرك به وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال : ما الإحسان 4 قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال متى الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولد الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان فى خمس لايعلمهن إلا الله ثم تلا النبى صلى الله عليه وسلم " إن الله عنده علم الساعة " الآية ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيئا فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم قال أبوعبد الله : جعل ذلك كله من الإيمان . كتاب التفسير سورة لقمان باب قوله : إن الله عنده علم ةالساعة 3/ 248 ح رقم 4777 حدثنا إسحاق عن جرير عن أبى حيان إلى آخر طريق البخارى السابق ولفظه .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبرى ممن لايؤمن بالقدر وأغلظ القول فى حقه 1-39 ح رقم 9 حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب جميعا عن ابن علية قال زهير حدثنا اسماعيل بن إبراهيم عن أبى حيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه وفى الباب بسنده عن عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلمذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولايعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبنيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يامحمد أخبرنى عن الإسلام . ثم ذكره بنحو حديث البخارى وأخرجه أبوداود فى سننه كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه 222/4 -223 ح رقم 4695 عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمثل رواية مسلم التى عن عمر .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الإيمان باب ماجاء فى وصف جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم الإيمان والإسلام 6/5 -7 ح رقم 2610 عن عمر رضى الله تعالى عنه بمثل رواية مسلم وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب المقدمة باب فى الإيمان 25/1 ح رقم 64 حدثنا ابو بكر بن أبى شيبة ثنا إسماعيل بن عليه عن أبى حيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه وفى الباب رواية عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وأخرجه أحمد عن المسند 26/2 من طريق إسماعيل ثنا أبو حيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه

[2]حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثنى شريك عن عبد الله بن أبى نمير عن عطاء عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عادى لى وليا فقد أذنته بالحرب وماتقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضت عليه ومازال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصره ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطيته ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته . أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق باب التواضع 197/4 ح رقم 9502 .

وأخرجه أحمد فى مسنده أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بلفظ من أذل لى وليا فقد استحل محارمى وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء الفرائض ومازال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه إن سألنى أعطيته وإن دعانى أجبته ماترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن وفاته لأنه يكره الموت وأكره مساءته .

[3]أخرجه الإمام أحمد فى مسنده 124/4 مسند شداد بن أوس رضى الله عنه حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا الحكم بن نافع وأبواليمان قال ثنا إسماعيل بن عياش عن راشد بن داود عن يعلى بن شداد قال حدثنمى أبى ثم ذكره .

أخرجه الإمام الطبرانى فى المعجم الكبير 289/7 -290 ح رقم 7163 باب يعلى بن شداد بن أوس عن أبيه - حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقى والحسين بن إسحاق التسترى قال ثنا هشام بن عمار ثنا عبد الملك بن محمد الصغاتى ثنا راشد ابن داود الصغانى إلى آخر سند الإمام أحمد ونحو حديثه وعزاه الهيثمى فى المجمع 81/10 بعد أن نسبه إلى أحمد فقط وفيه راشد بن داود وثقه غير واحد وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات وقال أيضا فى ج 1 ص 19 رواه أحمد والطبرانى والبزار ورجاله موثقون .

[4]أخرجه ابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال 93/4 فى ترجمة صخر بن عبد الله الكوفى - ثنا عبد الله بن محمد بن إبراهيم المروزى ثنا عبد الله بن محمود المروزى ثنا صخر بن عبد الله الحاجبى بمرو ثنا الليث بن سعد عن الزهرى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بجلوا المشايخ فإن تبجيل المشايخ من اجلال الله . وقال ابن عدى وهذا حديث موضوع على الليث بن يعد . ط دار الفكر .

وأخرجه ابن الجوزى فى كتابه الموضوعات كتاب المبتدأ باب اكرام الأشياخ 182/1- أنبأنا محمد بن عبد الملك قال أنبأنا الجوهرى عن الدارقطنى عن أبى حاتم قال أنبأنا عبد الله بن محمد السعدى قال حدثنا صخر بن محمد الحاجى إلى آخر طريق ابن عدى ولفظه وقال ابن الجوزى قال ابن حبان لاتحل الرواية عن صخر وقال ابن عدى ما يرويه منكر ومن موضوعاته . ط السلفية الطبعة الأولى 1386هـ = 1966 م وأخرجه ابن حبان فى كتابه المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين 374/1 فى ترجمة صخر يروى عن الليث عن الزهرى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجلوا المشايخ ... إلخ ط الطبعة الثانيةو 1402 هـ تعليق محمود ابراهيم زيد.

الفصل الثانى من كتاب

كاشف الألباس فى فضيلة الذكر

ولنقدم كلام العلامة النووى رحمه الله فى الأذكار، ونص كلامه : فصل قال الله تعالى : { إن المسلمين والمسلمات } (سورة الأحزاب : 35) 'لى قوله تعالى : {والذاكرين الله كثيرا والذكريات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما } (سورة الأحزاب ك 35) وروينا فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " سبق المفردون، قالوا وما المفردون يارسول الله ؟ قال : {الذاكرون الله كثيرا والذاكرات } " [1] . قلت : روى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها، والمشهور الذى قاله الجمهور التشديد .

واعلم أن هذه الآية الكريمة مما ينبغى أن يهتم بمعرفتها صاحب هذا الكتاب، وقد اختلف فى ذلك، فقال الإمام أبو الحسن الواحدى : المراد يذكرون الله فى أدبار الصلوات وغدوا وعشيا وفى المضاجع وكلما استيقظ من نومه وكلما راح من منزله ذكر الله تعالى . وقال مجاهد : لايكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا . وقال أيضا : أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء وذلك بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعاء وغير ذلك منه أ هـ بلفظه .

وقال العلامة العارف الربانى سيدى أحمد زروق رضى الله عنه كما فى تأسيس القواعد مانصه : التزام اللازم للملزوم موصل إليه، فمن ثم فضل الذكر غيره إذا مأأردت أن يلزمك فالزم ملزوميته، وقد قال الله تعالى {فاذكرونى أذكركم} ولا أعظم من هذه الكرامة، وجعل لكل شئ حدا ووقتا إلا ذكره تعالى إذا قال " ذكر كثيرا - وقياما وقعودا وكذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ". وقال رجل [2]" يارسول الله كثرت على شعائر الإسلام فدلنى على عمل أدرك به مافاتنى، قال : لايزال لسانك رطبا بذكر الله حتى يقولوا مجنون ". والذكر منشور الولاية فمن أعطى الذكر أعطى المنشور .

قال شيخنا أبو العباس الحضرمى رضى الله عنه : وعليك بدوام الذكر وكثرة الصلاة على رسول الله صلى الله علايه وسلم فهو سلم ومعراج وسلوك إلى الله تعالى إذا لم يلق الطالب شيخا مرشدا، فقد سمعت فى سنة ست وأربعين وثمانمائة فى الحرم الشريف رجلا من الصالحين روى فى ذلك عن بعض أهل الصدق مع الله وكلاهما معين معروف روايتهما والله أعلم اهـ.

وقال أيضا: كل ذكر واسم فخاصيته من معناه وتصريفه فى مقتضاه وسره فى عدده وإجابته على قدر همة صاحبه، فمن ثم لاينتفع عالم إلا بجلى واضح المعنى، ولاجاهل إلا بخفى لايعرف معناه ويبقى من يفهمهما بينهما، ولزم اعتبار العدد الموضوع شرعا والمستخرج استنباطا، لتوقف التحقيق عليه حسب سنة الله، فأما الكتاب والتفريط فى الشكل ونحوه فأمر مستفاد عن علم الطباع والطبائع، ولا يخفى بعده عن الحق والتحقيق، فلذا قال ابن البناء رضى الله عنه فى ابن البونى وأشكاله، ووافق غير النساخ وأمثاله.

وقال الحاتمى رضى الله عنه: علم الحروف علم شريف لكنه صار مذموما دنيا وأخرى، فاعلم ذلك وبالله سبحانه التوفيق : قلت : أما دنيا

فلتوغل صاحبه فى الأسباب المتوهمة دون المتحققة، وذلك قادح فى مقام التوكل باعتبار الاجتهاد فى التسبب كالمبادرة بالكى فى التطبب، لأنه من نزف النفس واستعجال البرء، وأما أخرى فلأنه شغل بأوجه تخل بعمارتها والله أعلم ا هـ منه بلفظه .

وقال الإمام العلامة العارف بالله سيدى محمد اليدانى فى شرح خاتمة التصوف مانصه وقال بعضهم: أقرب الطرق إلى دخول الحضرة ذكر الله، لأن الاسم لايفارق مسماه، فلا يزال الذاكر يذكر والحجب تتمزق شيئا فشيئا، حتى يقع الشهود القلبى لله، وحينئذ يستغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور، ومرادهم بحضرة الله حيث أطلقت انكشاف الحجب، فتدخلها وأنت قاعد مكانك . الثانية قال فى شرح شهية السماع : لايقرب عبد إلى حضرته تعالى إلا أن يستحى منه حق الحياء، ولايصلاح له ذلك إلا أن يحصل له الكشف ورفع الحجاب، ولا يصلح له ذلك إلا بملازمة الذكر، ولايصلح له مقام الإخلاص الكامل وهو شهود الأعمال أنها خلق الله تعالى إلا بمداومة الذكر، ولاتخمد الأمراض الباطنية إلا به، ولا تنقطع الخواطر الشيطانية إلا به، ولا تضعف الخواطر النفسانية إلا به، وبمداومته يزول الهم والغم فى الدنيا فإنهما بقد الغفلة عن الله، فلا يلومن العبد إلا نفسه إذا ترادفت عليه الهموم والغموم، فإن ذلك إنما هو جزاؤه بقدر إعراضه عن ربه، فمن أراد دوام السرور فليداوم على الذكر، وقد يقتنع بعض المغرورين . بمجلس الذكر صباحا ومساء مع الغفلة عن الله فيما بينهما، وذلك لا ينجع بالسالك إلى منازل القوم، وربما يحتج بحديث " إذا ذكر العبد ربه أول النهار ساعة وآخر النهار ساعة غفر له مابينهما " والمغفرة لاترقى فيها، وغايتها أن تلحق المذنب بمن لا يذنب ذلك الذنب لا أنها تلحقه بمن فعل الطاعات، فافهم ومراد القوم دوام الترقى مع الأنفاس فى المقامات وذلك بدوام ذكر الله، ثم إنهم لايرون أنهم قاموا بذرة واحدة من واجب حق الله تعالى ا هـ منه بلفظه .

قال ابن عباد فى شرح الحجكم عند قوله : لاتترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور، وما ذلك على اللهخ بعزيز، الذكر أقرب الطرق إلى الله تعالى وهو علم على وجود ولايته كما قيل : الذكر منشور الولاية، فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور، ومن سلب الذكر فقد عزل . قال الشاعر:

والذكر أعظم باب أنت داخله ... لله فاجعل له الأنفاس حراسا

قال الإمام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه: الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الإرادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية، فليس وراء الذكر شئ، وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر ومنشؤها عن الذكر . وفضائل الذكر أكثر من أن تحصى، ولو لم يرد فيه إلا قوله تعالى فى كتابه العزيز { فاذكرونى أذكركم } وقوله عز وجل فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه، وإن تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعا، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة " [3] لكان فى ذلك اكتفاء وغنية، وهذا الحديث متفق على صحته، قالوا : ومن خصائصه أنه غير موقت، فما من وقت إلا والعبد مطلوب به إما وجوبا وإما ندبا، بخلاف غيره من الطاعات.

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا وجعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر، غير الذكر، فإنه لم يجعل له حدا ينتهى إليه، ولم يعذر أحدا فى تركه إلا مغلوبا على عقله، وأمرهم بذكره فى الأحوال كلها فقال عز من قائل {فاذكروا الله قيما وقعودا وعلى جنوبكم } (سورة النساء : 103) وقال تعالى {يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا} (سورة

الأحزاب: 41) أى بالليل والنهار، وفى البر والبحر والسفر والحضر والغنوالفقر وفى الصحة والسقم والسر والعلانية، وعلى كل حال.

وقال مجاهد رضى الله عنه : الذكر الكثير أن لاينساه أبدا . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون " [4] فينبغى للعبد أن يستكثر منه فى كل حالاته ويستغرق فى جميع أوقاته ولا يغفل عنه، وليس له أن يتركه لوجود غفلته فيه، فإن تركه وغفلته عنه أشد من غفلته فيه، فعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وإن كان غافلا فيه . فلعل الذكر مع وجود الغفلة يرفعه إلى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور، وهى مرتبة العارفين المحققين من الأولياء، قال الله تعالى : {واذكر ربكط إذا نسيت } (سورة الكهف : 24) أى إذا نسيت مادون الل عند ذلك تكون ذاكرا لله، وفى هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محوا فى وجود العيان، وأنشدوا فى هذا المعنى :

ما إن ذكرتك إلا هم يقلقنى ... سرى وقلبى وروحى عند ذكراك

حتى كأن رقيبا منك يهتف بى ... إياك ويحك والتذكار إياك

أما ترى الحق قد لاحت شواهده ... وواصل الكل من معناه معناك

وقال الواسطى مشيرا إلى هذا المقام : الذاكرون فى ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره، لأن الذكر سواه .

وقال أبو العباس بن البناء فى كلام ذكره على مقدمة كتاب أبى العز تقى الدين بن مظفر الشافعى، وهو كتاب الأسرار العقلية فى الكلمات النبوية، ورأيت هذا الكلام بخطه رحمه الله : ومن أعظم الذكر ماهاج عن خاطر وارد من المذكور جل ذكره، وهذا هو الذكر الخفى عند المتصوفة على الاستمرار والتمكين فى الإسرار، وأما قولهم حتى

يتمكن الذاكر إلى حالة يستغرق بها عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد حكمة، بل وقدرة من عزيز حكيم، وبيان ذلك أن يكون القلب عند الذكر فى الذكر فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره، فيصير القلب بيت الحق المبين، وهو لسانه الذى ينطق به، فإن بطش هذا الذاكر كان يده التى يبطش بها وإن سمع كان سمعه الذى يسمع به، قد استولى المذكور العلى على الفؤاد فامتلكه، وعلى الجوارح فصرفها فيما يرضيه، وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها حيث شاء فى مرضاته، فلذلك يخرج الذكر من غير تكلف، وتعبث الأعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كلال { ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون } (سورة النحل : 128) وقد وصف الله قلب أم موسى عليه السلام بمعنى ذلك فى قوله الحق { وأصبح فؤاد أم موسى فرغا } (سورة القصص : 10) أى فارغا من كل شئ إلا من ذكر موسى، فكاد أن تبدى به من غير قصد منها لذكره ولاتدبير، بل كان تركها للتصريح بذكره صبرا بما ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين بما أوحى إليها من قبل فى شأن موسى وبأنه من المرسلين، وبذلك بندفع الإشكال الذى ذكره أبو العز ووصفه بالعظيم، وهو اجتماع الضدين فى بادئ الرأى وهما الذكر والغفلة عن الذكر، وهذه المعالم والمراقى لايعرف حقائقها إلا السالكون وجدانا، والعلماء إيمانا وتصديقا، فاياك والتكذيب بآيات الله فتكون من الصم البكم فى الظلمات، ولما كان المذكور لايجوز عليه وصف الفقد والعدم، ولايمنعه حجاب ويحويه مكان، ولايشتمل عليه زمان، ولا يجوز عليه الغيبة بوجه، ولايتصف بحوادث المحدثين، ولايجرى عليه صفات المخلوقين، فهو حاضر عينا ومعنى، وشاهد سرا ونجوى، إذ هو القريب من كل شئ، وأقرب إلى الذكر له من نفسه من حيث الإيجاد والعلم به والمشيئة فيه والقدرة والتدبير له والقيام عليه، خلق الخليقة فلا تلحقه أوصافها، وأوجد الأعداد فلا تحصره معانيها سبحانه وهو العلى الكبير ا هـ كلام الشيخ أبى العباس رحمه الله فى معنى المقام الثالث من مقامات الذكر، وهو غاية الحسن والتحقيق مشيرا إلى توحيد الخواص من أجل هذه الطريقة، فلا ينبغى أن يستبعد العبد الوصول إلى هذا المقام الكريم فليس ذلك بعزيز على

الفتاح العليم، فعلى العبد القيام بحق الأسباب، ومن الله تعالى رفع الحجاب ا هـ منه بلفظه .

وقد قال العلامة اليدالى فى شرح الخاتمة بعد كلام مانصه : الخامسة فى جواهر القرآن : اعلم أ،ه قد انكشف لأرباب البصائر أن الذكر أفضل الأعمال، ولكن له قشور ثلاثة، بعضها أقرب إلى اللب من بعض، ولها لب وراء القشور الثلاث، وإنما فضل القشور لكونها طريقا إليه، فالقشور الأعلى منه ذكر اللسان فقط، والثانى ذكر القلب إذا كان القلب يحتاج إلى مراقبة حجتى يحضر مع الذكر، ولو تركه وطبعه لاسترسل فى أودية الأفكار، والثالث أن يتمكن الذكر من القلب ويستولى عليه بحيث يحتاج إلى تكلف فى صرفه عنه إلى غيره كما احتيج فى الثانى إلى تكلف فى إقراره معه ودوامه معه، الرابع وهو اللباب المطلوب، وذلك أن لايلتفت القلب إلى الذكر ولا إلى القلب بل يستغرق المذكور جملته، ومهما ظهر له فى أثناء ذلك التفات فذلك حجاب شاغل . وهذه الحالة هى التى يعبر عنها العارفون بالفناء وذلك بأن يفنى عن نفسه حتى لايحس بشئ من ظواهر جواهره، ولا من العوارض الباطنة، بل يغيب عن جميع ذلك ويغيب عنه جميع ذلك ذاهبا إلى ربه أولا ثم ذاهبا فيه آخرا، وإن ظهر له فى أثناء ذلك أنه فنى عن نفسه بالكلية فذلك شوب وكدورة . بل الكمال فيه أن يفنى عن نفسه ويفنى عن الفناء أيضا، والفناء عن الفناء غاية الفناء، وهذا قد يظنه الفقيه الرسمى أنه طاقات غير معقولة، وليس كذلك بل هذه الحالة لهم بالإضافة إلى محبوبهم كحالتك فى أكثر أحوالك بالإضافة إلى محبوبك من جاه أو مال أو معشوق، فإنك تكون مستغرقا لشدة الغضب بالفكر فى عدوك، ولشدة شهوتك بالفكر فى معشوقك حتى لايكون قلبك متسعا لشئ أصلا فتخاطب فلا تفهم، ويجتاز غيرك بين يديك فلا تراه وعيناك مفتوحتان. ويتكلم عندك فلا تسمع ولابأذنك صمم، وأنت فى الاستغراق غافل عن كل شئ وعن الاستغراق أيضا، لأن الملتفت إلى الاستغراق معرض عن المستغرق به إلى أن قال : فقد أفهمناك مأأراده بالفناء فدع عنك الغيبة والتكذيب بما لم تحط به، قال تعالى : {بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه } (سورة يونس39) وقال : {وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم} (سورة الأحقاف :11) اهـ.

ثم قال إن الفناء والاستغراق يكون اولا كالبرق الخاطف قل مايثبت ويدوم، فإن دام ذلك وصار عادة راسخة وهيئة ثابتة، عرج بها إلى العالم الأعلى، وطالع الوجود الحقيقى الأصفى، فانطبع فيه نفس الملكوت، وتجلى له قدس اللاهوت، وأول ما يتمثل له من ذلك جواهر الملائكة وأرواح الأنبياء والأولياء فى صورة جميلة تفضى إليه بواسطتها بعض الحقائق، وذلك فى البداية إلى أن تعلو درجته عن المثال، ويكافح بصريح الحق فى كل شئ، فإذا رد إلى هذا العالم المجازى الذى هو كالظلال نظرا إلى الخلق مترحما عليهم لحرمانهم عن مطالعة جمال حضرة القدس، ويتعجب فى انخداعهم بعالم الغرور فيكون معهم حاضرا بشخصه غائبا بقلبه، متعجبا هو من حضورهم وهم يتعجبون من غيبته، وهذه ثمرة لباب لذكر، وإنما مبدؤها ذكر اللسان ثم ذكر القلب مكلفا، ثم ذكر القلب طوعا، ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر، وما دام القلب يشعر بالذكر ويلتفت إليه فهو معرض عن الله وغير منفك عن شرك خفى حتى يصير مستغرقا بالواحد الحق، فذلك هو التوحيد، وكذلك القول فى المعرفة، فمن طلب المعرفة فقد قال بالثانى، ومن وجدها فكأنه لايجدها، بل يجدها المعروف بها فهو الذى اشتمل من حقيقة الوصال ووصل محبوبه فى حضرة القدس ا هـ من شرح خاتمة التصوف للعلامة اليدالى رضى الله عنه وأرضاه وعنابه آمين .

وقال شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم الخاتم المحمدى رضى الله عنه ونفعنا به آمين فى الكلام على مايحتاج إليه مريد الرياضة مانصه:

إن المريد الصادق الذى يريد أن يرتاض بالخلوة وغيرها يحتاج إلى أمور : أولها معرفة تعديل المزاج، ثم معرفة غاية القصد، ثم معرفة كيفية السعى إليه، ثم معرفة الحجاب القاطع عنه، ثم معرفة كيفية زواله، ثم كيفية زواله، ثم معرفة أصول الحجاب التى منها مواده، ثم الجد فى قطع تلك الأصول، ثم معرفة الأمور التى بها زوال الحجاب إما كلية أوتفصيلية، ثم سل سيف العزم وركوب جواد المجاهدة بمتابعة

ماعرف من هذه الأمور والعمل على مقتضياتها. أ/ا معرفة تعديل المكزاج فهو لزوم طريق الاعتدال فى الأكل والشرب من غير إفراط ولاتفريط ثم النظر فى الوقت والبلد حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة، وكذلك السن، ثم مقاومة كل مايقويه عن الانحراف . وأما معرفة غاية القصد فهو رفع الحجاب عن الروح الربانى ورده إلى حالة الصفاء التى كان عليها قبل التركيب فى الجسم، فإن هذا الذى يكون به إدراك سائر العلوم والمعارف والأحوال والأخلاق والمقامات والفتوحات والمواهب والقرب الحقيقى، وبه إدراك سعادة الدنيا والآخرة، ومن فقده لم يصل إلى سعادة الآخرة . وأما معرفة كيفية السعى إليه فهى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى سائر قوله وفعله وحاله وخلقه بإقامة حقوق الله تعالى فى سر أو علانية، مخلصا لله تعالى من جميع الشوائب الدنيوية والأخروية، وأن يكون ذلك لله تعالى تعظيما وإجلالا لله على بساط الرضى والتسليم والتفويض والاعتماد عليه تعالى فى كل شئ . وأما معرفة كيفية زوال هذا الحجاب فهو السعى فى قطع الحظوظ والشهوات وترك تعظيم نفسها والسعى فى جلب مصالحها وقطع دفع مضارها بالزهد فيها بالكلية لكن بلطف ورفق .

وأما معرفة أصول الحجاب فهو كثرة الأكل والشرب وملاقاة الخلق وكثرة الكلام وكثرة المنام ودوام الغفلة عن ذكر الله تعالى . وأما السعى والجد فى قطع تلك الأصول فهو الجوع والعطش بالرفق ودوام الانقطاع عن ملاقاة الخلق ودوام الصمت مطلقا إلا فيما قل من ضرورياته، ومداومة السهر بالرفق، ومداومة ذكر الله تعالى بالقلب واللسان دائما بأى ذكر . ثم إن الأذكار التى بها زوال الحجاب منها كليات وهى التى تقطع الحجاب عن الروح من أى أمر كان، ومنها تفصيليات وهى التى لاتقطع إلا حجابا واحدا من نوع واحد . أما الكليات فهى لاإله إلا الله، او الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو سبحان الله والحمد لله، أو الله أكبر، أو بسم الله الرحمن الرحيم، أو الله الله الله، أو الله لا إله إلا هو الحى القيثوم . وأ/ا التفصيليات فهى سائر الأسماء الحسنى، وكل اسم يذهب بجزء من الحجاب ولا يتعدى للجزء الآخر . والله تعالى الموفق ا هـ كلامه الجدير

أن يكتب بذوب الذهب، قلت : ومن أراد شيئا زائدا على ماذكر هنا مما يقطع الحجاب فعليه بملازمة رجاله، فقد قال السيد العربى بن السائح رضى الله عنه : إن فى جواهر المعانى طرقا عديدة كلها موصلة على الله تعالى . قلت : وما هو مكتوم أكثر من ذلك، ولكن سائق السعادة يسوق أناسا، والصارف الإلهى يصرف آخرين .

الماء منهمر والأرض معشبة ... أقام فيها مريد الخير أو رحلا

وهذا آخر الفصل، والله الموفق للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب

---

[1]أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الذكر والدعاء باب الحث على ذكر الله تعالى 263/4 ح رقم 2676 - حدثنا أمية بن بسطام العيشى حدثنا يزيد يعنى ابن زريع حدثنا روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان . سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال: " الذاكرون الله كثيرا والذاكرات " .

وأخرجه الإمام الترمذى فى سننه كتاب الدعوات باب أى الكلام أحب إلى الله 17/5 ح رقم 3596 - حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء أخبرنا أبو معاوية عن عمرو ابن راشد عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله ؟ قال المالمستهترون فى ذكر الله

يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا . وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

وأخرجه أحمد فى المسند 323/2 ثنا عامر ثنا على يعنى ابن المبارك عن يحيى يعنى ابن أبى كثير عن عن يعقوب قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا يارسول الله ومن المفردون قال الذين يهتدون فى ذكر الله . وأخرجه الإمام البغوى فى كتاب شرح السنة كتاب الدعاء باب فضل ذكر الله عز وجلا ومجالس الذكر 18/5 حديث رقم 1247 - أخبرنا أبوالفرج المظفر بن اسماعيل أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمى أنا أبو أحمد عبد الله بن عدى الحافظ نا جعفر ابن أحمد بن على بن يمان بمصر نا سعيد بن كثير بن غفيرنا ابن لهيعة . وروى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون ثم ذكره بمثل رواية الإمام مسلم .
[2]أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الدعاء باب فضل ذكر الله 458/5 ح رقم 3375 وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وأخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب الأدب باب فضل الذكر 1246/2 ح رقم 3793

وأخرجه أحمد فى مسنده 188/4

والحاكم فى المستدرك 495/1 كتاب الدعاء باب مداومة الذكر من طريق يحيى ابن أبى طالب ثنا زيد بن الحباب ... به وصححه الحاكم والذهبى . البيهقى 371/3 كتاب الجنائز باب طوبى لمن طال عمره وحسن عمله من طريق أبو صالح حدثنى معاوية و إلى آخر طريق الترمذى ولفظه وابن شيبة 13/10، 457/1

[3]أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى {ويحذركم الله نفسه} وقوله جل ذكره: تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى

نفسك " 421/4 ح رقم 7405 - حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبى حدنا أبى حدثنا الأعمش سمعت أبا صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ثم ذكره .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى 2061/4 ح رقم 2675 من طريق جرير عن الأعمش إلى آخر سند البخارى ولفظه، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله ص 2068 من طريق أبو معاوية عن الأعمش إلى آخر سند البخارى ولفظه

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الدعوات باب فى حسن الظن بالله عز وجل 581/5 ح رقم 3603 من طريق أبو معاوية عن الأعمش إلى آخر سند البخارى ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أحمد فى المسند 251/2 من طريق ابن نمير وأبو معاوية إلى آخر طريق البخارى ولفظه، ص 413 من طريق عبد الواحد ثنا سليمان الأعمش ... الخ وابن ماجه فى سننه كتاب الأدب باب فضل العمل 1255/2 ح رقم 3822 من طريق أبو معاوية عن الأعمش ... ؟ [4] أخرجه أحمد فى المسند 68/1 حدثنا سريح ثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون، ص 71 من طريق ابن لهيعة ثنا دراج ... ؟

وأخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب الدعاء باب أكثر ذكر الله حتى يقولوا مجنون 499/1 وصححه الحاكم ووافقه الذهبى .

الفصل الثالث من كتاب كاشف الألباس

فى الاجتماع للذكر والترغيب فى قراءة القرآن والإجتماع لها

فاقول وبالله التوفيق، وهو الهخادى بمنه إلى سواء الطريق:

قال العلامة العارف بالله حوارى الطريقةالشيخ عمر بن سعيد الفوتى رضى الله عنه كما فى الرماح: اعلم أن الاجتماع للذكر حض عليه الشارع ورغب فيه صلى الله عليه وسلم، وجرى به عمل أئمة الطريق من أهل الله شرقا وغربا روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم مرفوعا " يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منه " . وروى الطبرانى بإسناد حسن مرفوعا قال " قال الله جل ذكره : لايذكرنى العبد فى نفسه إلا ذكرته فى ملإ من الملائكة، ولايذكرنى فى ملإ إلا ذكرته فى الرفيق الأعلى " [1]وأخرج الإمام أحمد ورواته ثقات عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لايريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم وبدلت سيئاتكم حسنات [2] . ورواه أبو يعلى والبزار والطبرانى، ورواه البيهقى من حديث عبد الله بن مغفل، ورواه الطبرانى عن سهل بن حنظلة قال : قال رسول الله " ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل فيه فيقومون حتى يقال لهم قوموا قد غفر لكم وبدلت سيئاتكم حسنات " [3].

وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال " خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس إن لله سرايا من المملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر فى الأرض فارتعوا فى رياض الجنة، قالوا : وأين رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر فاغدوا وروحوا فى ذكر الله وذكروه أنفسكم، من كان يريد أن يعلممنزلته عند الله تعالى فلينظر منزلة الله تعالى عنده، ينزل العبد منه حيث انزله من نفسه " رواه ابن أبى الدنيا وأبو يعلى والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى . وقال الحاكم : صحيح الإسناد، [4]

والرتع : هو الأكل والشرب فى خصب وسعة . وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الاله عليه وسلم " ليبعثن الله أقواما يبوم القيامة فى وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولاشهداء، قال : فجثا أعرابى على ركبتيه فقال : يارسول الله صفهم لنا نعرفهم، فقال : هم المتحابون من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله تعالى ويذكرونه " أخرجه الطبرانى بإسناد حسن [5]. وعن عمرو بن عنبسة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلام يقول "عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين، يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل، قيل يارسول الله من هم ؟ قال: هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله تعالى فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى اطايب التمر " رواه الطبرانى وإسناده مقارب لابأس به، [6] وجماع بضم الجيم وتشديد الميم : أى أخلاط من قبائل شتى ومواضع مختلفة، ونوازع جمعنازع : وهو الغرلايب، ومعناه أنهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم ولا نسب ولا معرفة، إنما اجتمعوا لذكر الله تعالى . وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا : وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر " أخرجه الترمذى [7].

وأخرج الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه أنه قال " ذكر الله خير لاشك فيه، يذهب بالذنب ولاذنب فيه " وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه " حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة الف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض " وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن لله ملائكة يطوفون فى الطريق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا : هلموا إلى حاجتكم قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا، قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : ما يقول عبادى، قال : فيقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال : فيقول هل رأونى ؟ قال : فيقولون لا والله مارأوك، قال فيقول كيف لو رأونى ؟ قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تحميدا وأكثر لك تسبيحا، قال فيقول فما يسئلونى ؟ قال : يسئلونك الجنة، قال : فيقول وهل رأوها ؟ قال : يقولون لا والله ما رأوها، قال : فيقول فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة، قال فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون من النار، قال : فيقول وهل رأوها، قال يقولون لاوالله مارأوها، قال : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة، قال : فيقول فأشهدكم أنى قد غفرت لهم، قال : يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجةٌال : هم الجلساء لايشقى بهم جليسهم " رواه البخارى أهـ منه باختصار [8] .

وفى الأذكار للعلامة النووى رضى الله عنه: اعلم أنه كما يستحب الذكر يستحب الجلوس فى حلق أهله، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك، وذكر بعض الأحاديث المتقدمة ثم قال : وروينا فى صحيح مسلم عن معاوية رضى الله عنه قال " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ماهدانا للإسلام ومن به علينا، قال : الله مأأجلسكم إلا ذاك ؟ قال : أما إنى لم استحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة) [9] وروينا فى صحيح مسلم أيضا عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول

الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " لايقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده" [10] أ هـ منه بلفظه

وقال الشيخ زروق رضى الله عنه فى تاسيس القواعد : إعطاء الحكم فى العموم لا يقضى بجريانه فى الخصوص، فاحتيج فى الخاص للدليل يخصه حتى يتخصص به، ومن ذلك الجهر بالذكر والدعاء، فدليله " من ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منه " وقيل من أدلته (كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) . وقال ابن عباس "ما كنت أعرف انصراف الناس من الصلاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالذكر" ورواه البخارى. والجهر فى ذكر العيد فى دبر الصلوات وبالثغور وفى الأسفار حتى قال عليه الصلاة والسلام "أربعوا على أنفسكم لا تدعون أصم ولاغائبا " [11]. وقد جهر النبى عليه الصلاة والسلام بأذكار وأدعية فى مواطن جمة، وكذلك السلف . وكذلك السلف . وصح قوله جوابا لأهل الخندق " اللهم لاخير إلا خير الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة " وكل هذه دالة على الجهر والجمع لكن فى قضايا خاصة يكون وجودها مستندا إلى دليل لاحتمال قصرها على ما وقعت فيه، وكونها مقصودة لغيرها لا لذاتها فلزم تمهيد أصل آخر أهـ.

وفى الإحياء للإمام أبى حامد الغزالى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة " [12]وقال داود صلى الله عليه وسلم: إلهى إذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم، فإن لك نعمة تنعم بها على . وقال صلى الله عليه وسلم "المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء " [13]. وقال أبو هريرة رضى الله عنه " إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض

التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم " . وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا، فيقول الشيطان للدنيا، ألا ترين ما يصنعون ؟ فتقول الدنيا : دعهم فإنهم إذا اتفقوا أخذت بأعناقهم إليك . وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه " أنه دخل السوق وقال : أراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد، فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا، فقالوا : يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم فى المسجد، قال : فماذا رأيتم : رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرءون القرآن، قال : فلذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم" اهـ منه بلفظه .

قال صاحب الرماح : قال فى كشف القناع : وسئل الجلال السيوطى رحمه الله تعالى عما اعتاده الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به فى المساجد ورفع الصوت بالتهليل هل ذلك مكروه أم لا ؟ فاجاب بأنه لاكراهة فى شئ من ذلك، وقد وردت أحاديث تقتضى استحباب الجهر بالذكر، وأحاديث تقتضى استحباب الإسرار بذلك، والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص كما جمعالنووى بذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن. والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار بها ا هـ المراد منه .

وقال : ومن كلام سيدى على الخواص : ينبغى للمريد أن يذكر بقوة تامة مع الجهر، فإنه أشد تأثيرا فى جمع شتات قلبه، وينبغى له أيضا أن يذكر مع جماعة، فإن ذكر الجماعة أكثر تأثيرا فى رفع الحجب، لكون الحق تعالى شبه القلوب بالحجارة، ومعلوم أن الحجر لاينكسر إلا بقوة جماعة، فكذلك قساوة القلب لاتزول إلا بذر جماعة مجتمعين على قلب واحد، لأن قوة الجماعة أشد من قوة شخص واحد، وأما من حيث الثواب فكل له ثواب نفسه وثواب سماع رفقته اهـ .

قلت : ومراد القوم ونظرهم فيما يجمع قلوبهم على الله تعالى .

قال الشيخ زروق : معظم نظر القوم مايجمع قلوبهم على مولاهم، فمن ثم قالوا بأشياء فى باب الأدب أنكرها من لم يعرف قصدهم، وأخذها بغير حق من لم يبلغ حالهم فضل بها وزل كالسماع ونحوه، وقد أشار لذلك الجنيد رحمه الله حين سئل عن السماع فقال : كل ما يجمع العبد على مولاه فهو مباح ا هـ فجعله مشروطا فى الجمع فى إباحته حتى لايتعدى حكمه موقوفا على علته حتى لا ينكر والله أعلم ا هـ من تأسيس القواعد بلفظه.

وفيه أيضا فضيلة الشئ غير أفضليته، وحكم الوقت غير حكم الأصل، فلا يلزم من الترغيب الأفضلية وإن ثبت الفضل، ولا من الترك والفعل لعارض الوقت رفع حكم الأصل، والجمع للذكر والدعاء واتلاوة، قد صح ندب كل ذلك بالأحاديث المتقدمة، فلا يصح دفع أصل حكمه وإن أوثر عليه غيره، فالأفضلية للغعير عليه كالذكر الخفى وما يتعدى من العبادات نفعه كالعلم والجهاد والتكسب على العيال إلى غير ذلك مما كان اعتناء الصحابة به وشغلهم فيه حتى شغلهم عن الاجتماع للذكر، والمفزع له من غير ضميمة شئ من ذلك إليه، ألاتراهم عند إمكانه على ماهم فيه استعملوه كالأسفار والأعياد وأدبار الصلوات ونحو ذلك، ولما بجاء عليه السلام حلقة الذاكرين تجاوزها وجلس مع المتذاكرين فى العلم، فآثر المتذاكرين لتعدى نفعهم ولاحتياجهم إليه فيما هم به، إذ لا علم لهم إلا من قبله فقصدهم لتبليغ ماجاء به، بخلاف الذاكرين فإن ماهم فيه بين بنفسه ونفعه قاصر عليهم، لكنه لم ينكر على أولئك وإن آثر هؤلاء، والله أعلم ا هـ عنه . وقد تقدم أن نظر القوم فيما يجمعهم على الله قد قال إمامنا وإمام الأئمة مالك بن أنس : لو كنت أعلم أن قلبى يصلح بالجلوس عند كناسة لفعلت، وورد مثل ذلك فى السنة، ففى شرح المواقف : وقد ذكرنا ربنا، فيقرأ وكان حسن الصوت، وإنما استدعى عمر رقة قلبه بسماع قراءته للقرآن، وهذا لابأس به إذا صح من فاعله على هذا الوجه ا هـ منه بلفظه .

قلت : وأما تخصيص الصوفية وبعض الصالحين بعض الليالى بشئ من القربات دون بعض، فقد قال القاضى عياض فى إتيان النبى صلى الله عليه وسلم مسجد قباء كل يوم سبت حجة لجوار تخصيص الأئمة والصالحين بعض الأيام من الجمعة بنوع من القربات سبتا وغيره ا هـ المراد منه .

وقد قال شيخنا رضى الله عنه، وبقوله يختم الكلام فى المسئلة فى معرض الكلام على السماع بعد كلام : وكم من عارف يفاض عليه فى حضوره السماع من الحضرة القسية من فيوض الأحوال والمعارف، فيترقى به من المقامات مالايترقاه بالعبادة وصفاء الأوقات فى مائة ألف عام من المقامات ا هـ كلام شيخنا وإمامنا بلفظه من جواهر المعانى .

وأما القراءة للقرآن فقد قال النووى فى الأذكار مانصه : فصل ينبغى أن يحافظ على تلاوته ليلا أو نهارا، سفرا أو حضرا . وقد كانت للسلف رضى الله عنهم عادات مختلفة فى القدر الذى يختمون فيه، فكان جماعة منهم يختمون فى كل شهرين ختمة، وآخرون فى كل شهر ختمة، وآخرون فى كل عشر ليال ختمة، وآخرون فى ثمانليال ختمة، وآخرون فى كل سبعة ليال ختمة . وهذا فعل الأكثرين من السلف، وآخرون فى كل ست ليال، وآخرون فى خمس، وآخرون فى أربع، وكثيرون فى كل ثلاث، وكان كثيرون يختمون فى كل يوم وليلة ختمة، وختم جماعة ف ى كل يوم وليلة ختمتين، وآخرون فى كل يوم وليلة ثلاث ختمات، وختم بعضهم فى اليوم والليلة ثمان ختمات أربعا فى الليل وأربعا فى النهار، وممن ختم أربعا فى الليل وأربعا فى النهار السيد الجليل ابن الكاتب الصوفى رضى الله عنه، وهذا أكثر مابلغنا فى اليوم والليلة . وروى السيد الجليل أحمد الدورقى بإسناده عن منصور بن زاذان بن عباد التابعى رضى الله عنه أنه كان يختم القرآن مابين الظهر والعصر، ويختمه أيضا فيما بين المغرب والعشاء، ويختمه فيما بين المغرب والعشاء فى رمضان ختمتين وشيئا، وكانوا يؤخرون

العشاء فى رمضان إلى أن يمضى ربع الليل . وروى أبن أبى داود بإسناده الصحيح أن مجاهدا رحمه الله كان يختم القرآن فى رمضان فيما بين المغرب والعشاء .

وأما الذين ختموا القرآن فى ركعة فلا يحصون لكثرتهم، فمنهم عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد بن جبير، والمختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له منه كمال فهم مايقرأ، وكذا من كان مشغولا بنشر العلم وفصل الحكومات بين المسلمين أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين، فليقتصر على قدر لا يحصل له بسببه إخلال بما هو بصدده ولا قوة كماله، ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل أو الهذرمة فى القراءة . وقد كره جماعة من المتقدمين الختم فى يوم وليلة، ويدل عليه مارويناه بالأسانيد الصحيحة فى سنن أبى داود والترمذى والنسائى وغيرها عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لايفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث " [14] وأما وقت الابتداء والختم فهى إلى خيرة القارئ، فإن كان ممن يختم فى الأسبوع مرة فقد كان عثمان رضى الله عنه يبتدئ ليلة الجمعة ويختم ليلة الخميس . وقال الإمام أبو حامد الغزالى فى الإحياء : الأفضل أن يختم ختمة بالليل وأخرى بالنهار، ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما، ويجعل ختمة الليل الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وآخره . وروى ابن أبى داود عن عمرو بن مرة التابعى الجليل رضى الله عنه قال : كانوا يحبون أن يختم القرآن من أول الليل ومن أول النهار . وعن طلحة بن مصرف التابعى الإمام الجليل قال : من ختم القرآن أية ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسى، وأية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح . وعن مجاهد نحوه.

وروينا فى مسند الإمام المجمع على حفظه وجلالته وإتقانه وبراعته أبى محمد الدرامى رحمه الله عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن وافق ختمه آخر الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسى، قال الدرامى : هذا حسن عند سعد . وقال أيضا فى آداب الختم وما يتعلق به : قد تقدم أن الختم للقارئ وحده يستحب أن يكون فى صلاة، وأما من يختم فى غير صلاة والجماعة الذين يختموه مجتمعين فيستحب أن يكون ختمهم فى أول الليل أو أول النهار كما تقدم ا هـ المراد منه . وقد قال الشيخ سيدى المختار الكنتى رضى الله عنه مانصه : وقال أبو الليث ينبغى للقارئ أن يختم فى السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة . وقد روى الحسن بن زياد عن أبى حنيفة أنه قال : من ختم القرآن فى كل سنة مرتين فقد أدى حقه، لأن النبى صلى الله عليه وسلم عرضه على جبريل فى السنة التى قبض فيها مرتين . ومن حديث أحمد بن حنبل : يكره تأخير ختم القرآن لمن يحفظه أكثر من أربعين يوما بلا عذر، لأن عبد الله بن عمرو سأل النبى صلى الله عليه وسلم فى كم يختم القرآن ؟ قال : فى أربعين يوما، رواه ابو داود [15] ا هـ من تذبيله للكواكب بلفظه . وفيه قال مالك بن أنس : يستحب الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته، فقد أثنى الله تعالى على من كان دأبه تلاوة القرآن بقوله : { يتلون ءايت الله ءاناء اليل } (سورة آل عمران : 113) وفى الصحيحين من حديث ابن عمر " لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق " [16]

ومن حديث أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث قدسى يرويه عن ربه ولفظه " يقول الرب سبحانه وتعالى : من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه " [17] وأخرج مسلم فى صحيحه من حديث أبى أمامة الباهلى " اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه " [18]وأخرج البيهقى من طريق عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم " البيت الذى يقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل

السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض " [19]. وأخرج من حديث أنس " نوروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن " [20] وأخرج من حديث النعمان بن بشير " أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن " [21]ومن حديث سمرة بن جندب " كل مؤدب يحب أن تؤتى مأدبته، ومأدبة الله القرآن فلا تهجروه " [22] . ومن حديث عبيدة المالكى مرفوعا وموقوفا " يا أهل القرآن لاتتوسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته وفى آناء الليل وأطراف النهار، وافشوه وتدبروا مافيه لعلكم تفلحون " [23]ا هـ منه . وفيه : وتسن القراءة فى الموضع النظيف وأفضله المسجد . وكره قوم القراءة فى الحمام والطريق، وقيل لاتكره، وكرهها الشعبى فى بيت الرحا وهى تدور، ويستحب للقارئ الجلوس مستقبلا حال القراءة متخشعا بسكينة ووقار مطرقا رأسه، ويسن الاستياك قبل القراءة تعظيما وتطهيرا لقوله عليه الصلاة والسلام " نظفوا أفواهكم بالتسويك والتخليل فإنها طرق القرآن ومجالس الملائكة " [24] . ويروى أن الله تعالى وكل ملكا بالقارئى إذا قرأ يجعل فاه على فيه إكراما للقرآن، والملائكة عليهم الصلاة والسلام يتأذون بالريح الكريهة أشد التأذى، ويتنعمون بالرائحة الطيبة ويحبونها كما فى الخبر " عليكم بالسواك فإنه يرضى الرحمن ويغضب الشيطان ويطيب النكهة ويشد اللثة ويزيد الفصيح فصاحة " [25]اهـ منه بلفظه .

وفيه أيضا: وتسن القراءة بالتدبر والتفهم، لأنه المقصود الأعظم والمطلوب الأهم . قال على رضى الله عنه : لاخير فى قراءة لاتدبر فيها، لأن بالتدبر تنشرح الصدور وتستنير القلوب، قال الله تعالى : {كتاب أنزلناه إليك مبرك ليدبوا ءايته} (سورة ص : 29) وقال { أفلا يتدبرون القرآن} (سورة النساء: 82) وصفه ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر فى معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأ[وامر والنواهى مع اعتقاد قبول ذلك، فإن مر على شئ مما قصر عنه فيما مضى من عمره اعتذر واستغفر وطلب الإقالة من الله تعالى، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، أو آية عذاب أشفق وتعوذ، أو آية تنزيه نزه وعظم، أو آية دعاء تضرع وطلب كما فى حديث حذيفة رضى الله

عنه قال " صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح القرة، ثم آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ " [26] أخرجه مسلم فى صحيحه. ومن حديث عوف بن مالك قال : قمت مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة فقرأ سورة البقرة لايمر بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ [27]" رواه أبو داود والنسائى . وأخرج أبو داود فى مسنده والترمذى فى صحيحه " أنه ينبغى لمن قرأ والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها أن يقول : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . ومن قرأ لاأقسم بيوم القيامة فانتهى إلى قوله : أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى، فليقل بلى. ومن قرأ والمرسلات عرفا، فقرأ بأى حديث بعده يؤمنون، فليقل: آمنا بالله وبرسوله وبملائكته وبما أنزل لإى كتابه " . ومن حديث ابن عباس " أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ : " سبح اسم ربك الأعلى، قال : سبحان ربى الأعلى " أخرجه أحمد وأبو داود فى صحيحيهما اهـ منه.

وفيه أيضا وفى الصحيحين قراءة ابن مسعود على النبى صلى الله عليه وسلم، وفيه " وإذا عيناه تذرفان "وفى شعب الإيمان للبيهقى عن سعد بن مالك مرفوعا " إن هذا القرآن نزل بحزن وكآبة فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا "أى اطلبوا البكاء من أنفسكم . وفى مرسل عبد الملك بن عمير "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه يوما فقال لهم : إنى قارئ عليكم سورة فمن بكى فله الجنة، فإن لم تبكوا فتباكوا " أى اطلبوا البكاء من أنفسكم . وفى مسند أبى يعلى " اقرءوا القرآن بالحزن فإنه نزل بالحزن " [28]ومن حديث الطبرانى " أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن يتحدث به " [29] . ومن أسباب تحصيل البكاء التأمل واستحضار معانى مايقرأ من اللفظ : من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود، ثم يتفكر فى تقصيره فيها، فإن لم يصبه عند ذلك حزن ولابكاء، فليبك على نفسه لبعده عن الحق والخشوع، فإن ذلك مصيبة من المصائب ا هـ . وفيه : ويسن الترتيل فى قراءة القرآن كما يدل عليه قوله تعالى : { ورتل القرآن ترتيلا } (سورة المزمل : 4) ومن حدجيث أم سلمة أنها لما

نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم نعتت قراءة مفسرة حرفا حرفا، أخرجه أبو داود ا هـ [30] منه . ثم قال الشيخ سيدى المختار الكنتى المذكور : ولا بأس باجتماع الجماعة فى القراءة ولابإدارتها وهى بأن يقرأ بعض الجماعة قطعة ثم البعض قطعة بعدها ا هـ منه .
ولذا قال صاحبه عمليات فاس :

والذكر مع قراءة القرآن ... جماعة شاع مدى أزمان

وقال العلامة سيدى محنض باب الديمانى التجانى رضى الله عنه :

وأنكروا الجهر والاجتماع ... للذكر وهو جائز إجماعا

وقد وقع الإجماع بعد الخلف ... فيه فجاز اليوم دون خلف

وقد قال شيخنا الختم التجانى فى فضل التلاوة مانصه كما فى الكناش :
وأما مرتبة الظاهر من الباطن وهى تلاوة القرآن بالنظر للجمعية العظمى حيث لاأين ولا رسم ولاكيف، إلا التغلغل الربانى والسر الصمدانى الذى لايعقل ولايعرف ولاتلحقه عبارة ولاتدركه إشارة، وصاحب هذه المرتبة للقرآن يستنوعب جميع ماذكر به ربنا على ألسنة العوالم من الأزل إلى الأبد، ولاتعرف لهذه المرتبة كيفية ولا تعرف لها غاية ولاتدرك لها نهاية، وهى مرتبته صلى الله عليه وسلام دون غيره فقط فى تلاوته القرآن . .

وأما ثواب القرآن فهو على مراتب بحسب مراتب الخلق مرتبة المحجوب، فليست مرتبة هذا أيضا كمرتبة الذى فتح عليه فى أسرار الولاية الصغرى، وليست مرتبة هذا الولى الصغير كمرتبة العارف الذى وصل مرتبه الصديقية وليست مرتبة العارف الذى وصل مرتبة الصديقية فيها كمرتبة القطب الفرد الجامع، فلكل مرتبة من هذه المراتب حد تنتهى إليه فى ثواب تلاوة القرآن، ولكل مرتبة منها ظاهر وباطن، فظاهر المرتبة هو ماذكر فى الحديث على كون من قرأ القرآن

على غير وضوء له بكل حرف عشر حسنات، وإن كان متوضئا فى صلاة جالسا فلكل حرف خمسون حسنة، وإن كان فى الصلاة قائما فبكل حرف مائة حسنه، فهذه هى مرتبة الظاهر، وأما مرتبة الباطن فلا يبلغها حد ولاقياس ولا ينتهى إليها قدر ولامقدار ولا يبلغ كنه وصفها أحد من كافة الخلق أبدا الآبدين، فإن الحرف الواحد منه لو جمعت الأذكار كلها والأسماء والصفات والحسنات وجميع العبادات من أول الدهر إلى آخره مابلغ ذلك كله قدر حرف واحد منه فهذه هى المرتبة الباطنة .

وهذا آخر ما أردنا جمعه فى هذا الفصل، والله تعالى الموفق للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

---

[1]تقدم تخريجه فى ص 56 س 10 .

[2]أخرجه الإمام أحمد فى مسنده 142/3 ثنا محمد بن بكر أنا ميمون المرائى ثنا ميمون بن سياه عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله لايريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت شيئاتكم حسنات وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء فى مجالس الذكر 76/10 عن أنس بن مالك .

وأخرجه أبونعيم فى حلية الأولياء 108/3 فى ترجمة ميمون بن سياه .
وأخرجه أبو يعلى فى مسنده 464/2 مسند أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ح رقم 1283 حدثنا شعبة عن أبى إسحاق عن الأغر أبى

مسلم قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى اللهعليه وسلم ثم ذكر .

[3]أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء فى مجالس الذكر 76/10 عن سهل بن حنظلة وعزاه الهيثمى إلى الطبرانى وفيه المتوكل بن عبد الرحمن والد محمد بن أبى السرى ولم أعرفهخ وبقية رجاله ثقات .

وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان باب فى محبة الله عز وجل فصل فى كر أخبار وردت فى ذكر الله عز وجل 454/1 ح رقم 695 عن سهل بن حنظلة .

[4]أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء فى مجالس الذكر 77/10 عن جابر بن عبد الله وعزاه إلى أبى يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط وفيه عمر بن عبد الله مولى عفرة وقد وثقه غير واحد وضعفه جماعة وبقية رجالهم رجال الصحيح وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى 397/2 -398 - حدثنا عبد الله الحافظ فى آخرين .

[5]أورده الإمام الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء فى مجالس الذكر 77/10 عن أبى الدرداء وعزاه إلى الطبرانى وإسناده حسن .

وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب كتاب الذكر والدعاء باب لايقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة 406/2 عن أبى الدرداء وعزاه إلى الطبرانى وحسنه .

[6]أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء فى مجالس الذكر 77/10 وعزاه إلى الطبرانى ورجاله موثقون .

[7]أخرجه الإمام الترمذى فى سننه كتاب الدعوات باب رقم 83 ح رقم 3510 ج 10ص 53

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنى أبى قال حدثنا محمد بن ثابت البنانى حدثنا أبى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا مررتم برياض الجنة ثم ذكره . وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس وأخرجه أحمد بن حنبل فى مسنمده 150/3 مسند أنس ابن مالك رضى الله عنه من طريق عبد الصمد إلى آخر سند الترمذى ولفظه . وأخرجه الإمام أبو نعيم فى حلية الأولياء فى ترجمة زياد بن عبد الله النميرى 268/6 عن زياد النميرى عن أنس بن مالك ثم ذكره .

وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (95/1 ح 1158) عن ابن عباس ثم ذكره بلفظه .

[8]أخرجه بطوله وبلفظه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل 174/4 - 175 ح رقم 6408 - حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة يطوفون فى الطريق يلتمسون أهل الذكر ثم ذكر الحديث بتمامه .

وأخرجه بألفاظ متقاربة وبطوله أيضا الإمام مسلم فى صحيحه كتاب

الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل مجالس الذكر 2069/4 - 2070 حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون حدثنا بهز حدثنا وهيب،، حدثنا سهيل عن أبيه عن أبى هريرة ثم ذكره بطوله وبألفاظ متقاربة .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الدعوات باب ماجاء أن لله ملائكة سياحين فى الأرض 579/5 - 580 ح رقم 3600 حدثا أبو كريب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش إلى آخر سند البخارى ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد رواه أبى هخريرة من غير هذا الوجه وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده 358/2 -359 عن سهيل ابن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة ثم ذكره مختصرا .

[9] أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الذكر باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر 2075/4 حدثنا أبوبكر بن ا[ى شيبة حدثنا مرحوم بن عبد العزيز عن أبى نعامة السعدى عن أبى عثمان عن أبى سعيد الخدرى قال : خرج معاوية على حلقة فى المسجد فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله قال الله ما أجلسكم إلا ذاك قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك قال أما أنى لم استحلفكم تهمة لكم ما كان أحد بمنزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم ثم قالوا جلسنا نذكر الله ونحدجه على ماهدانا للإسلام ... ثم ذكره وأخرجه النسائى فى سننه كتاب اداب القضاة باب كيف يستحلف الحاكم 249/8-أخبرنا سوار بن عبد الله قال حدثنا مرحوم بن عبد العزيز إلى آخر سند مسلم ولفظه .

وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده 92/4 من طريق على بن بحر قال حدثنى مرحوم ابن عبد العزيز إلى آخر سند مسلم ولفظه . ش 306/10 طب 142/19، 1011

[10] أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الذكر باب فضل الاجتماع على

تلاوة القرآن وعلى الذكر 2074/4 - حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا اسحاق يحدث عن الأغر أبى مسلم أنه قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لايقعد قوم يذكرون اللهثم ذكره

وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الوتر باب ثواب القرآن 71/2-72- حدثنا عثمان بن أبى شيبة ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أ[ى صالح عن أبى هريرة عن النبى وأخرجه أيضا فى كتاب القدر باب لاحول ولا قوة إلا بالله 219/4 حدثنا محمد أبن مقاتل أبو الحسن أخبرنا عبد الله أخبرنا عبد الله أخبرنا خالد الحذاء عن عثمان النهدى عن أبى موسى ثم ذكره بمثل الرواية الثانية .

وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الوتر باب الاستغفار 88/2 ح رقم 1526 حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا حماد ثابت وعلى بن زيد وسعيد الجريرى عن أبى عثمان النهدى إلى آخر طريق البخارى وبمثل الرواية الأولى .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الذكر باب استحباب خفض الصوت بالذكر من طريق أبو معاوية عن عاصم إلى آخر سند البخارى ولفظه جـ 4 ص 2076 .

[11]أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب مايكره من رفع الصوتع فى التكبير 257/2 حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عاصم عن أبى عثمان عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياأيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لاتدعون أصم ولاغائبا إنه معكم، إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده، كتاب المغازى باب غزوة خيبر 70/3

- حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا عبد الواحد عن عاصم إلى آخر الطريق الأول وبلفظ قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر الله أكبر لاإله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعوا على أنفسكم ثم ذكره بمثل الرواية السابقة جزء من حديث طويل

[12] أخرجه الإمام أحمد فى مسنده 463/2 مسند أبى هريرة رضى الله عنه - ثنا عبد الرحمن عن شعبه عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما قعد قوم مقعدا لا يذكرون الله عز وجل ويصلون على النبى صلى الله عليهخ وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب .

وأخرجه الإمام الترمذى فى سننه كتاب الدعاء باب فى القوم يجلسون ولايذكرون الله 461/5 ح 3380 حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماجلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم حسرة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم .

وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

[13]أورده الزبيدى فى كتابه اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين كتاب الذكر والدعاء باب فضيله الذكر ج 5 ص 9 وقال العرالقى ذكره صاحب الفردوس من حديث أسد بن وداعة وهو مرسل .

[14]أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الصلاة باب تحزيب القرآن 2/ 57 ح رقم 1394 - حدثنا محمد بن المنهال أخبرنا يزيد بن زريع أخبرنا

سعيد عن قتادة عن أبى العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبد الله يعنى ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب القراءات باب رقم 13 ج 198/5 ح رقم 2949 - حدثنال محمود بن غيلان حدثنا النضر بن شميل حدثنا شعبة عن قتادة إلى آخر سند أبو داود ولفظه وقال أبو عيسى تعليقا على هذا الحديث هذا حديث حسن صحيح

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب كم يستحب بختم القرآن 428/1 ح رقم 1347 حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة إلى آخر سند أبو داود ولفظه .

[15]أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الصلاة باب فى تحزيب القرآن 57/2 ح رقم 1395 - حدثنا نوح بن حبيب أخبرنا عبد الرازق أخبرنا معمر عن سماك بن الفضل عن وهب بن منبه عن عبد الله بن عمرو انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم فى كم يقرأ القرآن قال فى أربعين يوما ثم قال فى شهر ثم قال فى عشرين ثم قال فى خمس عشرة ثم قال فى عشر ثم قال فى سبع " ينزل من سبع .

[16]أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد باب قول النبى صلى الله عليه وسلم ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار .. 457/4 حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال الزهرى عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وأناء النهار وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها

وعلمها 558/1 من طريق زهير ابن حرب عن سفيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه أحمد فى المسند 2/8-9 من طريق أحمد عن سفيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

واخرجه الترمذى فى سننه كتاب البر باب ماجاء فى الحسد 330/4 ح رقم 1936 - من طريق ابن أبى عمر حدثنا سفيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الزهد باب الحسد 1408/2 ح رقم 4209 من طريق محمد بن عبد الله بن يزيد ثنا سفيان إلا آخر سند البخارى ولفظه .

[17] أخرجه الترمذى فى سننه كتاب فضل القرآن باب رقم 25 184/5 ح رقم 2926 حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا شهاب بن عباد العبدى حدثنا محمد بن الحسن بن أبى يزيد الهمدانى عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب عز وجل من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته ... الخ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب . وأخرجه الدارمى فى سننه كتاب فضائل القرآن باب فضل كلام الله على سائر الكلام 317/2 من طريق محمد بن الحسن الهمدانى عن عمرو بن قيس إلى آخر طريق الترمذى ولفظه ط 1 الفنية المتحدة سنة 1386 هـ = 1966 م تحقيق السيد عبد الله هاشم يمانى المدنى .
[18]أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة 553/1 -حدثنى الحسن بن على الحلوانى حدثنا أبو توبة وهو الربيع بن نافع حدثنا معاوية يعنى ابن سلام عن زيد انه سمع أبا سلام يقول حدثنى أبو أمامة الباهلى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرأوا القرآن فـ'نه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم

القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولايستطيعها البطلة قال معاوية بلغن أن البطلة السحرة.

وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير 139/8 ح رقم 7544 من طريق أحمد بن خليد الحلبى ثنا أبو توبة 'لى آخر طريق مسلم ولفظه .
[19]أورده علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال 415/1 ح رقم 2291 عن عائشة وعزاه إلى البيهقى.

[20]اورده علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ح 15ص 392 ح رقم 41518 عن أنس . وقال الإمام المناوى فى فيض القدير شرح الجامع الصغير 290/6 حديث رقم 9291 ورمز له السيوطى بالضعف وضعفه المناوى أيضا . ط التجارية الكبرى سنة 1357 هـ = 1938م

[21]انظر علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال 2264/1 عن النعمان بن بشير وعزاه إلى البيهقى .

[22]علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال 514/1 ح رقم 2286 عن سمرة بن جندب .

[23]أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الصلاة باب فى صلاة الليل 252/2 وعزاه إلى الطبرانى فى الكبير وفيه أبو بكر بن أبى مريم وهو ضعيف .

وأخرجه أبو نعيم فى ذكر أخبار أصبهان فى ترجمة الحسن بن محمد بن مزيد أبو سعيد 260/1 قال أبو نعيم حدثنا أبى ثنا محمد بن احمد

بن مزيد ثنا ابو سعيد الحسن بن محمد بن مزيد ثنا هشام عمار ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابوبكر بن ابى مريم عن المهاجر بن حبيب عن عبيدة الأملوكى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياأهل القرآن لاتوسدوا القرآن واتله حق تلاوته ثم ذكر الحديث تمامه . وأورده علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال 611/1 حديث رقم 2803 عن عبيدة المليكى وعزاه إلى الطبرانى والبيهقى وأبو نعيم وابن عساكر

[24]أخرجه الديلمى فى الفردوس بمأثور الخطاب 248/4 ح رقم 6733 وزهر الفردوس 110/4 قال أخبرنا كريمة بنت محمد بن عبد الواحد اخبرنا ابوطاهر الثقفى أخبرنا ابن المقرى حدثنا حاجب بن أبى بكر الفرغانى عن أحمد بن محمد العسقلانى عن مخلد السلمينى عن خالد الأحمر عن الوضين عن عطاء عن أنس مرفوعا . وأورده العجلونى فى كشف الخفاء ومزيل الألباس 342/1 وأورده المنتقى الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال 611/1 ح رقم 2804

[25]أخرجه الإمام أحمد فى مسنده 108/2 مسند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما - حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن عبد الله ابن جعفر عن نافع عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالسواك فإنه مطيبة للفم ومرضاة للرب . وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الطهارة باب فى السواك 220/1 عن ابن عمر وعزاه إلى الطبرانى وأحمد وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف .

والهيثمى فى مجمع الزوائد 314/9 ح رقم 26183 عن ابن عمر وعزاه 'لى أحمد والطبرانى .

[26]أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل 536/1 - حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عبد الله بن نمير وأبو معاوية .

وحدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم، جميعا عن جرير، كلهم عن الأعمش . ح وحدثنا ابن نمير واللفظ له حدثنا أبى . حدثنا الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن المستورد بن الأحنف عن صلة بن زفر عن حذيفة قال صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلى بها فى ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح آلا عمران فقرأها ثم افتتح النساء فقرأها مترسلا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربى العظيم فكان فى ركوعه نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده ثم قام طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربى الأعلى فكان سجوده قريبا قيامه . وأخرجه النسائى فى سننه كتاب قيام الليل باب تسوية القيام والركوع والقيام بعد الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين فى صلاة الليل 126-125/3 أخبرنا الحسين بن منصور قال ثنا عبد الله بن نمير إلى آخر طريق مسلم ولفظه .

وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده مسند حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ج 5ص 397 من طريق عبد الله بن نمير إلى آخر طريق الإمام مسلم ولفظه .

[27]أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الصلاة باب مايقول الرجل فى ركوعه وسجوده 229/1 ح 873 - حدثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب معاوية بن صالح ابن عمرو بن قيس عن عاصم بن حميد عن عوف بن مالك الأشجعى قال قمت مع رسول الله : ليلة فقام فقرأ سورة البقرة ... ثم ذكره .

وأخرجه النسائى فى سننه كتاب التطبيق باب نوع آخر 223/2 من طريق الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس إلى آخر طريق أبو داود ولفظه .

[28] انظر علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال باب الفصل الثالث فى آداب التلاوة 606/1 عن بريدة وعزاه إلى أبى يعلى وأبو نعيم والطبرانى فى الأوسط .

ولم أقف عليه فى مسند بريدة من مسند أبو يعلى .

وأخرجه الإمام الطبرانى فى المعجم الأوسط 271/3 ح رقم 2923 - حدثنا ابراهيم قال حدثنا اسماعيل بن سيف قال حدثنا عوين بن عمرو القيسى أخو رباح بن عمرو قال حدثنا سعهيد الجريرى عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ثم ذكره .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد 169/7 وفيه إسماعيل بن سيف وهو ضعيف

[29]أخرجه الإمام الطبرانى فى المعجم الكبير 7/11 حديث رقم 10852 حدثنا عثمان بن يحيى بن صالح ثنا أبى ثنا أبى ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن أحسن الناس قراءة من إذا قرأ يتحزن " .

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد 170/7 وفيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث وفيه ضعف .

وعلاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال 602/1 الفصل الثالث فى آداب التلاوة وعزاه إلى الطبرانى عن ابن عباس.

[30]أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الوتر باب استحباب الترتيل فى القراءة 74/2 -75 ح 1466 حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملى ثنا الليث عن ابن أبى مليكة عن يعلى بن مملك انه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت ومالكم وصلاته كان يصلى وينام قدر ماصلى ثم يصلى قدر مانام ثم ينام قدر ماصلى حتى يصبح ونعتت قراءته فاذا هى تنعت قراءته حرفا حرفا .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب فضائل القرآن باب ماجاء كيف كان قراءة النبى صلى الله عليه وسلم 182/5 ح 2923 حدثنا قتيبة حدثنا اللبث عن عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة إلى آخر طريق الإمام أبو داود ولفظه وقال أبو عيسى تعليقا على هذا الحديث هذا حديث حسن صحيح لانعرفه إلا من حديث ليث بن سعد عن ابن أبى مليكة عن يعلى ابن مملك عن أم سلمة وأخرجه النسائى فى سننه كتاب قيام الليل باب ذكر صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل 214/3 من طريق قتيبة قال حدثنا الليث إلى آخر طريق أبو داود ولفظه .

وأخرجه أحمد فى المسند 294/6 من طريق أحمد ثنا الليث بن سعد إلى آخر طرق أبو داود ولفظه .

وآخر الإمام الطبرانى فى المعجم الكبير 407/22 ح رقم 977 من طريق ابن جريج حدثنى أبى عن ابن مليكة .

الفصل الرابع من فصول كتاب كاشف الألباس:

فى ذكر الفيضة التجانية وما قال صاحبها وما قال رجال طريقته

فأقول: قد تواتر بين أصحاب الشيخ الختم التجانى رضى الله عنه وتداول فى كتب الملفين فى طريقته أن الشيخ رضى الله عنه قال : تأتى فيضة على أصحابى حى يدخل الناس فى طريقنا أفواجا أفواجا . تأتى هذه الفيضة والناس فى غاية مايكونون عليه من الضيق والشدة . قال صاحب الإفاضة : وكان يعنى بالفيضة أن يكثر الفتح على أصحابه وكان يستبعد زمنها.

وقال شيخنا رضى الله عنه كما فى رسالة الفضل والامتنان لمؤلفها الخليفة سيدى على حرازم برادة رضى الله عنه . إن مما ضمنه له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبقى مدده فى مريديه إلى قيام الساعة، وأن تكون طريقته فى بنى آدم أزيد من عشرة آلاف طريق، كل من تلامذته كل طريق لتلميذ من تلامذته، وكل طريق تتفرع على طرق كثيرة من المعرفة، كل طريق أيضا على طرق إلى قيام الساعة، وأن تكون فى الجنة أزيد من عشرين ألف طريق تتفرع بفروع كثيرة إلى قيام الساعة، ولاتنقطع أبدا حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وخاصية الورد باقية إلى قيام الساعة مادام يتلى ويذكر ا هـ كلام شيخنا رضى الله عنه . وهذه الفيضة التى ذكر شيخنا قد تكلم أصحابه وخلفاؤه وورثة أسراره بعده عليها. وكثير منهم ادعاها لنفسه وقد تكلموا فيها فوقع فى كلامهم اضطراب .

وقد وقفت على أسئلة سأل عنها العلامة أحمد بن محم العلوى رضى الله عنه : تأتى فيضة على أصحابى حتى يدخل الناس فى طريقتنا أفواجا افواجا، تأتى هذه الفيضة والناس فى غاية مايكونون عليه من الضيق والشدة، هل أتت هذه الفيضة أم هى باقية ؟ ونص جواب

الشيخ عمر رضى الله عنه : وأما الفيضة فأرجوا من الله إليكم أن يكون المراد بها أنا العبد الفقير والإمام الفاطمى رضى الله عنها هـ كلامه بلفظه ووقفت على زيادات زادها السيد العربى بن السائح رضى الله عنه على أجوبة الشيخ عمر وقال فيها : وأما قوله فى الجواب الثالث عن قول سيدنا رضى الله عنه : تأتى فيضه الخ، فأرجوا الخ، فقد رأينا أصحاب الشيخ الكبار الذين أدركناهم يختلفون فيها، هل وقعت أم لا ؟ وكان بعض من مال إلى أنها وقعت يقول : هى التى وقعت ببلاد شنجيط على يد الشيخ محمد الحافظ رضى الله عنه وكان الآخرون يقولون : إنها لم تقع لأن الشيخ قال : يدخل الناس فى طريقتنا أفواجا ولم يخص بلدا ولا إقليما بذلك . والكل متفقون على أن يستعيد زمنها والذى نتعقله فيما بلغنا عن الشيخ أنها إلى الآن لم تقع، وإنما يكون وقوعها عند ظهور المنتظر حيث تصير الطرق طريقا واحدة، والله أعلم .

قلت : قد دخل الناس فى الطريقة أفواجا، ولعل نسخ الطرق إذا لم يبق واحدة منها من يصلح للتربية، وقد شوهد فى هذا الزمن من الضيق والشدة مالم يشاهده كثير من الكبار الذين أدركناهم، والذى وقع من كثرة الفتح فى أصحاب الشيخ والمعرفة بالله والاستغراق فى الله برفض كل ماسواه ماوقع فى طريقتنا قط فيما أعلم منذ بروزها إلى يومنا هذا و(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم) وقد ادعاها لنفسه العارف بالله سيدى محمد الحافظ بن خير العلوى فى نظمه، وأشار إلى بعض أوصاف صاحبها وطلبها، فقال

هب أننى أنا الذى قد ظهر ... من الألى أمرهم قد اشتهر

وصاحب الفيضة آخر الزمن ... وفائق الرجال فى علم القرآن

وأفردنى فى الثلاثين سنه ... وأيقظ القلوب بى من السنه

إلى آخر نظمه .

وقد ادعاها لنفسه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر شيخى وسيدى الحاج عبد الله بن الحاج رضى الله عنه، فقد قال إنه كوشف له عن الفيضة ورآها لنفسه وصار يطلبها فى كل من وجد من التلامذة، ولما علم بقرب وفاته رضى الله عنه ولم تقع علم أنها تبقى فى تلامذته، فصار يكثر التقديم حرصا على التوسط فيها وذلك سبب جولانه، وقال فى ذلك أشياء لاتكتب فى الأوراق ولاتنظر بالأحداق . وأما الدلائل من الكتاب فقد قال تعالى : { مانَنسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها } (سورة البقرة :106) وقال تعالى : { فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه } (سورة المائدة :54) الآية، وقال {فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكفرين } سورة الأنعام :89) وقال { وءاخرين منهم لما يلحقوا بهم } (سورة الجمعة :3) وقال {إذا جاء نصر الله والفتح } (سورة النصر : 1) الخ، وقال { ويخلق مالا تعلمون } فهنا إشارات لمن نور الله بصيرته تؤيد ماتقدم، وإليك استخراجه، وسلم تسلم . وأما السنة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سيأتى زمان للعامل فيه أجر خمسين، قالوا : منا أو منهم يارسول الله ؟ قال : بل منكم " [1] وقال " لاتزال طائفة " الحديث المتقدم، وقال " أمتى كالمطر " وقد تقدم الكلام عليه مستوفى، وقال " خير أمتى أولها وآخرها، وفى الوسط الكدر " وقال " والذى نفسى بيده ليدركن عيسى ابن مريم فى أمتى خلفا من حواريه " وغير ذلك من الأحاديث التى لو جلبناها وما يتعلق بها من الكلام لاحتجنا إلى مجلد، وإن لم تدرك يأخى حقائق الآيات المستجلبة والأحاديث، فلا يصدنك ذلك عن تلقيها بالقبول .

قال شيخنا رضى الله عنه كما فى جواهر المعانى : فعليك يأخى بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة، ولا تتوهم فيما يفسرون به الكتاب والسنة، أن ذلك إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن لظاهر الآية أو الحديث مفهوم بحسب الناس وتفاوتهم فى الفهم، فمن المفهوم ماجلب له الآية أو الحديث ودلت عليه فى عرف اللسان، وثم أفهام آخر باطنه

تفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله عليه، إذ قد ورد فى الحديث النبوى " إن لكل آية ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا إلى سبعة أبطن وإلى سبعين " [2] فالظاهر هو المعقول والمنقول من العلوم النافعة التى تكون بها الأعمال الصالحة، والباطن هو المعارف الإلهية والمطلع هو معنى يتحد فيه الظاهر والباطن، والحد يكون طريقا إلى الشهود الكلى الذاتى، فافهم ياأخى ولايصدنك عن تلقى هذه المعانى الغريبة عن فهوم العموم من هذه الطائفة الشريفة قول ذى جدل ومعارضة : إن هذا إحالة لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه ليس ذلك بإحالة، لو قالوا لامعنى للآية الشريفة أو الحديث إلا هذا الذى قلنا، وهم لم يقولوا ذلك بل يقرون الظاهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله تعالى فى نفوسهم ما يفهمهم بفضله ويفتحه على قلوبهم برحمته ومنته الخ انظر الجواهر .

قلت : والحكمة فى ظهور هذه الفيضة فى هذا الزمان الفاسد ضعف الإيمان فى قلوب الناس، وكثرة الفرق الضالة والمضلة، وهذه الأمة أمة مرحومة فأفيضت إليهم المعارف والحقائق كى يرجعوا لأصل فطرة الإيمان فافهم . وقال فى ذلك الشيخ الأكبر سيدى المكختار الكنتى فى الكوكب الوقاد مانصه : قال إمام الحرمين : لما ثارت الفرق الضالة وكثرت كان من حفظ الله بهذه الأمة المحمدية صيانة عقولهم فى التوحيد عن اكتفائهم بالتقليد، فحقق العرفان فى أسرارهم بجميل التأييد، وليس الحفظ كل الحفظ أن يحفظ العبد فى نفسه من البلاء، وإنما الحفظ كل الحفظ قلبه من الأهواء ا هـ . وإذا فهمت هذا فاعلم أن المرء يدرك بالتوحيد مقاما يظنه من لاذوق له مجنونا وماهو بمجنون ويتوهم من لافهم له أنه زنديق وما هو إلا صديق .

وقال الشيخ سيدى المختار رضى الله عنه : روى عن الجنيد أنه قال : من عبد الله ووحده حق توحيده استعبده وأوحده واختاره انفسه وأفرده عن أبناء جنسه وجعله فردانيا يطلب فردانيا، وما جن مجنون من العارفين إلا بتحسى خمرة الجلال، ففى جلالته تاه المحبوب، وفى

جمالاته تحير العارفون، وبكمالاته أتحف الواصلين، فهو ترجمان الأسماء ومنبع الآلاء وجماع جميع الأسماء، فالمحبون فى جلالته مختلفون فى أحوالهم مباينون، فمنهم من يغلب على عقله لكثافة أنوار حاله فيظهر التخليط فى أفعاله، فيظنه من لاذوق له مجنونا وما هو بمجنون، ويتوهم من لافهم له أنه زنديق وما هو إلا صديق، ولكنه شرب فسكر . ولا عدوان إلا على الظالمين، ولذا قال بعضهم فى وصف الحال :

وقل للذى ينهى عن الوجد أهله

إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا

فإنا إذا طبنا وطاشت عقولنا

وخامرنا خمر الغرام تهتكنا

فلا تلم السكران فى حال سكره

فقد رفع التكليف فى سكرنا عنا

أنلزمها بالنصر وهى مشوقة

وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى

أيا حادى العشاق قم واحد قائما

وزمزم لنا باسم الحبيب وروحنا

وصن سرنا فى سكرنا عن حسودنا

وإن أبصرت عيناك شيئا فسامحنا

يحركنا ذكر الأحاديث عنهم

ولولا هواهم فى الحشا ما تحركنا

ألم تبصر الطير المقفص يا فتى

إذا ذكر الأوطان حن إلى المغنى

ففرج بالتغريد ما بفؤاده

فتضطرب الأحشاء للحس والمعنى

كذلك أرواح المحبين يا فتى

تحركها الأشواق للعالم الأسنى

وقال يحيى بن معاذ الرازى: لو دارت ألسنة العارفين مع الناس كما تدور قلوبهم مع الله لقيل إنهم مجانين، وأنشدوا:

حيث مادارت الزجاجة درنا ... يحسب الجاهلون أنا جننا

ماجننا وما بنا من جنون ... بل شربنا مدامة فسكرنا

قال: ويخص المقربين بمزيد توحيد يكفى فى التعبير عنهٌول القائل:

قيل لى هل رأيت أحسن منها ... قلت هل فى الوجود شئ سواها

قلت: فلو تتبعت مالنا وللقوم من الإشارات فى التوحيد، لأدى بنا إلى الخروج عما نحن بصدده. فلنصرف العنان إلى الكلام فى الفيضة ووقوعها وما قال مشائخ الطريقة المعتبرون الموجودون فى زمننا، فأقول. قال لى الشيخ الهمام، والعارف الإمام السيد عبد الله بن الحاج العلوى: تأتى الفيضة على يدك حقيقة لا مجازا، وترى من الحسد مالم ير أحد قبلك، وقال لى: أنت كبير الطريقة التجانية فى زمنك. وأشياء

كل قلمى عن كتبها حياء. وهو كلامه يبرز من حسن ظنه بربه وبعباده، ولعله يرى فى حال ثان، وإلا فما أنا إلا عبد جان متلطخ بالجرائم والأوزار، وممن جزم بوقوع الفيضة التى ذكرها الشيخ العارف بالله من افتخر بطلعته جيد الزمان، وتحلى بما يزدرى حلى الدر والمرجان، ويشار له بالولاية العظمى بكل بنان، الفانى فى محبة مولاه الرحيم الرحمن، وعاص فى بحور حضرات خير بنى عدنان، وتوج من أسرار الختم بأحسن التيجان، السيد محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الملقب بيد حسان الطريق:

أسامى لم تزده معرفة ... وإنما لذة كتبناها

ومنهم السيد الأجل والعلامة المبجل صاحب السر الأقدس والمقام الأنفس الخلف بعد السلف محمد عبد الرحمن بن الحاج العلوى المتقدم الذكر . ومنهم العلم الأشهر والبدر المنير الأزهر، والشيخ الأكبر والكبريت الأحمر من لايشك اثنان فى ولايته لسعة معارفه وصلاحه وروايته ودرايته محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ رضى الله عنه . وأما الشيخان الأكبران والسندان الأشهران الخليفتان الشيخ محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ رضى الله عنهم، والشيخ محمد الأمين بن أحمد بن محمد حسان الطريق رضى الله عنهما فما صرحا كتصريح هؤلاء لكنهما أقرانا على مانحن عليه، وحمدا الله على مابلغهما وأمدانا بالدعاء وبكل مدد متعنا الله بهما . ومما قلت منذ أعوام قبل ظهور الفيضة :

وتأتى قريبا فيضة الختم هيئوا ... بتفريغ أغيار فتحظى بموضع

الخ، وقلت :

ذلك البرزخ ذاك السر ... ر والفيض حبانى

وقلت فى قصيدة طويلة أمدح بها الشيخ رضى الله عنه ومطلعها

صاح قف بى للمغانى ... أستبن دور الغوانى

ولنتم هذا الفصل بثناء العلماء على هذه الفيضة وأهلها، قال العالم العلامة والداركة الفهامة القاضى المشهود له بالتبربز وكمال التمييز سيدى محمد عبد الله ابن المصطفى العلوى :

أمسجد إبراهيم أسست للتقوى ... وأرضك لا تأثيم فيها ولا لغوا

لصحب أبى العباس فيك تحلق ... تنال من العليا به الرتبة القصوى

مدينتك الغراء خير مدينة ... لكل غريب فى جوانبها مأوى

وللدين نشر لايزال بطيها ... وللشئ حظ فى الذى فى اسمه يطوى

ويؤخذ منها بالبديهة أنها ... لمنها يرى للدين فى الوسط المثوى

نزلنا بها والحال ذات تكدر ... فصار الذى نلقاه من كدر صفوا

ومن خلفاء الشيخ فيها خليفة ... مدى الدهر لم يدرك له مدرك شأوا

يدير على شرب كئوس محبة ... ولا سكر عند ذاك منهم ولا صحوا

إذا هم بأذكار المهيمن هينموا ... يكاد لهم يهتز من طرب رضوى

يرومون من بحر المعارف حسوة ... ويشفى صداهم ما ينالونه حسوا

وقد تقتضى الأحوال صحة ما ادعوا ... وما كل حال تقتضى صحة الدعوى

عليك بشيخ القوم واسلك سبيله ... ولا تنح إلا مايكون له نحوا

بدت من أبى العباس فيه خلافة ... قفا أمره فى كل مسئلة قفوا

فأصحابه يمتلى عليهم معارفا ... ويملؤهم فقها ويملؤهم نحوا

ومن كان هذا فى البرية وصفه ... فما مثله فى الناس يوما ولاعدوا

إليكم بها حسناء بنت ضحية ... تفوه بما شاءت لديكم وما تهوى

ومن كل عيب فى القوافى تبرأت ... فما كان فيها من سناد ولا قوا

لذلك جدوى فى عواقب أمرها ... وما الأمر إلا بالعواقب فى الجدوى

صلاة وتسليم على سيد الورى ... محمد المبعوث ليس له شروى

وله أيضا زيد فيضا:

السعد طالعكم بكل زمان ... والبرج برج سعادة وأمان
ياشمس دين الهاشمى لك الهنا ... فإليك مرجع سائر الأديان
أعنى أبا إسحاق غرة دهره ... ساقى الرجال بأكؤس العرفان
ماهو إلا هو صاحب وقته ... وعلى يديه فيضة التجانى
وإذا عرضت على القرائن حاله ... فيها إليه يشير كل بنان
عجب له بحر تضمن أبحرا ... من فيض رب العرش والأكوان
فمن الحقيقة فيه بحر زاهر ... ومن الشريعة فيه بحر ثان
للفقه فيه مع الأصول ونحوها ... وفروع كل منهما بحران
وكذا المعانى واللغات وما حوته ... من البديع ومنطق وبيان
وضحت براهن ما أقول وإنما ... صدق المقال بواضح البرهان
لازالت الأوقات منه دائما ... معمورة بالذكر والقرآن
وتحفة حلق على سنن أتوا ... مثل الحمام على نواضربان
من كل أورع ذى أناة كيس ... كلف بما يعنيه ثبت جنان
فإليه تجذبه العناية إنما ... جذب العناية مثل جذب عنان
لايطبيه عن ذكر أحبة ... كلا ولا أهل ولا أوطان
وإذا به عنه يشط مزاره ... أبدا تراه دائم الهيمان

لكن إذا ذكر الإله وجدته ... متمايلا كتمايل النشوان
لازال من بين البرية صيته ... يعلوا على الجوزاء والدبران
فكفاك ربك يا أبا إسحاقنا ... شر العداوة من ذوى العدوان
وشرور أرباب الضغائن والخنا ... وشرور ذى حسد وذى طغيان
وحباك أيضا باتباع " محمد " ... ومكارم الأخلاق والإحسان
وبحب أرباب العلوم وعلمهم ... وبحب من للشيخ من إخوان

ثم الصلاة مع السلام على النبى ... يتعاقبان تعاقب الملوان

وقال نسيج وحده من لايرام شأوه لبعده، العلامة الأوحد والكوكب الأسعد محمد عبد الرحمن بن السالك بن باب العلوى :

السر سر الشيخ فى مدينا ... فاختارها الله لنا موطنا
واختاره حليا لها إنها ... نالت منى تجلو وجوه المنا
فاسلك طريقها تصل واستلم ... أركانها والشأن إن تركنا
إن زائرا تنل بها مطلبا ... أو خائفا تجد بها مأمنا
ديدن إبراهيم هدى الزرى ... ولم ين العلم له ديدنا
أذعنتت النفس له يافعا ... وقد غدا له الهوى مذعنا
بحاله وماله قد شرى ... من ألسن اللسن جميل الثنا
يبنى على الرفع بيوت العلا ... والرفع قد قل عليه البنا

وله أيضا زيد فيضا :

أيها الشيخ كعبة الآداب ... عرفات الأوطار والآراب
معدن العلم منبع السر مرمى ... أعين الزائرين والطلاب
ثمرة السودد المؤثل والمجد ... ومفتاح باب كل حجاب
لست مرتابا فى خلافتك ... الشيخ ولامصغيا إلى مرتاب
أنت لب اللباب ممن يربى ... وقليل فى الناس لب اللباب
آمر بالمعروف ناه عن المنكر ... داع للحق لين الجناب
مرشد لم يخب مريدك سعيا ... فى ذهاب كلا ولا فى إياب

مفرد جمع حاضر غائب مستتر ... ظاهر مصيب الصواب
أسأل الله أن يعيرك دهرا ... ملجأ للملهوف والمنتاب
أسأل الله فى العوافى لقاء ... بيننا بعد ذا وحسن مآب
وصلاة من الإله على خير ... البرايا والآل والأصحاب
والرضا عن حقيقة السر معنا ... ه ممد الأغواث والأقطاب

قلت : وهؤلاء هم مشايخ الإسلام، ورجال طريقتنا فما عداهم عيال لهم، وكلهم أقروا بوقوع الفيضة على يد العبد الجانى جامع هذا المجموع المبارك التجانى، فأنشد لسان حالى:

ما كنت أهلا وهم رأونى ... أهلا لذاك فصرت أهلا

وهؤلاء الذين وقعت فيهم هذه الفيضة وشغلهم دائما الله ورسوله والشيخ التجانى، استغرقهم الشيخ استغراقا كليا فلا يفعلون إلا له وبه، وهم القائمون بتعمير زوايا بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار بالذكر والصلاة على فدوتهم العظمى ووسيلتهم الأسمى، وتتبع سنته وأخلاقه وآثاره وآدابه، قد عيرهم أهل الغفلة الذين لم يرفعوا لشأن الإمام رأسا، وليس لهم من التجانية إلا مجرد الأخذ بأنهم ليسوا بالتجانيين، فاستغربت ضحكا وأقول كما قال الشاعر المعرى :

إذا عير الطائى بالبخل مادر ... وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس أنت صغيرة ... وقال الدجا للبدر ضوءك آفل
فياموت زر إن الحياة ذميمة ... ويانفس جدى إن دهرك هازل

ومع ما تقدم من تضافر العلامات والآيات لم يدعها فى هذا الزمن من مشائخ الطريقة المعتبرين أحد . تعم قد وقع بعض ذلك فى مبادى الأمر حكمة من الله تعالى . قال زروق : ماظهرت حقيقة قط فى الوجود إلا قوبلت بدعوى مثلها . وإدخال ماليس منها عليها، ووجود تكذيبها . كل ذلك ليظهر فضل الاستئثار بها وتبيين حقيقتها بانتفاء معارضيها {فينسخ الله مايلقى الشيطن ثم يبحكم الله ءايته } (سورة الحج :52)

وللوارث نسبة من الموروث، وأشد الناس بلاء الأنبياء فالأولياء ثم الأمثل فالأمثل، إنما يبتلى الرجل على قدر دينه، فمن ثم كان أهل هذه الطريق مبتلين بالإنكار بتسليط الخلق عليهم بإذايتهم أولا، وباكرامهم وسطا، وبهما لآخر لئلا يفوتهم الشكر على المدح والصبر على الذم، فمن أراد ذلك فليوطن نفسه على الشدة { إن الله يدفع عن الذين ءامنوا } سورة الحج : 38) {ومن يتوكل على الله فهو حسبه } (سورة الطلاق : 3) فافهم .

وفى الرماح مانصه : وفى البحر المورود أخذ علينا العهد أن نوطن نفوسنا إذا طلبنا أن نكون من حزب الله عز وجل على تحمل البلايا والمحن وكثرة الإنكار علينا ممن عرفنا وممن لم يعرفنا، وذلك لأنه لابد لكل أحد أراد الحق تعالى اصطفاءه أن يحصل له شئ من ذلك ساء أوبر، ثم لايخفى عليك ياأخى أن سبب وقوع غالب الناس فى أعراض القوم كون أحدهم يطلب أن يكون من أهل حضرة الله تعالى، وهو يحرم دخولها على من يراعى المقام عند الخلق، فلذلك يسلط الله تعالى على أحدهم الخلق بالزور والبهتان وتمزيق الأعراض حتى يصير لا يركن لأحد من الخلق دون الله تعالى، فإذا كان كذلك اعتمد على الله تعالى ضرورة وطلب المقام عنده، وهناك يعطيه الله تعالى ثم يترقى بعد ذلك فى درجات التقرب إلى المحل الذى قسمه الله تعالى له، وما دام العبد يطلب مقاما عند الخلق فهو محجوب عن الله تعالى، وكلما ازداد فى الصفات الخبيثة تزايد حجبا، حتى إنه ربما يحجب عن الله بسبعين ألف حجاب أو أكثر . وقال : سمعت عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : لايصطفى الحق تعالى عبدا حتى تتحزب عليه شياطين الإنس والجن ويرموه بالزور والبهتان، فإذا نفرت نفسه عن الخلق وصار لايركن إلى أحد منهم اصطفاه الله تعالى ا هـ .

وقال : وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى يقول : لما علم الله تعالى ماذا يقول الناس فى أنبيائه وأصفيائه من الزور

والبهتان، قضى على قوم بالشقاء والعياذ بالله تعالى، فجعلوا له زوجة وولدا وقالوا { يد الله مغلولة } سورة المائدة :64) ونحو ذلك، حتى إذا ضاق ذرع الولى مثلا من كلام قيل فيه : نادته هواتف الحق عزوجل : أما لك أسوة بربك سبحانه تعالى، وقد جعلوا له زوجة ووالدا ونسبوه إلى مالا يليق بجلاله، غارقين فى فضله وأرواحهم بيده، فلا يسع ذلك الولى إلا التأسى بربه عز وجل ا هـ . وكان الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رحمه الله تعالى يقول : قد جرت سنة الاله تعالى فى أنبيائه وأصفيائه أن يسلط عليهخم الأذى فى ابتداء أمرهم ثم تكون الدولة لهم آخرا إذا صبروا، وقد بسط الكلام على ذلك فى مقدمات الطبقات فافهم، والله تعالى يتولى هداك ا هـ . وفى عرائس البيان عند قوله تعالى : { فالذين هاجروا وأخرجوا من ديرهم وأوذوا فى سبيلى } (سورة المائدة :19) أن القوم إذا لم يذوقوا مرارة إيذاء المنكرين لم يبلغوا حقائق الالتجاء إلى الله تعالى والفرار إليه، فإذا الأضداد تهيج الأولياء إلى مقام الغيظ وضيق الصدر، وذلك محل الامتحان من الله تعالى لكظم غيظ غصص المنكرين، لتنفتح بعد ذلك أبواتب الخطاب وصفاء البسط ومرور المنة . قال الجنيد : جزى الله عنا إخواننا خيرا، ردونا بجفائهم إلى الله تعالى، وهذه سنة الله تعالى قد جرت على أهل سلوك طريق المعارف والكواشف، وقال الله تعالى : {ولن تجد لسنة الله تبديلا } (الأحزاب : 63) .

قال : وفى القواعد الزروقية، ثم ذكر ماتقدجم من ملام سيدى زروق، ثم قال : وإذا تحرى هذا وثبت فهمه فى ذهنك، فاعلم أن الرجل مبتلى على حسب دينه كما تقدم ذكره، فلكل نبى وصديق عدو، فقد كان لآدم إبليس، ولداود جالوت ولإبراهيم نمورذ، ولموسى فرعون، ولعيسى بختنصر والدجال واليهود، ولسيدنا محمد أبو جهل وغيره . قال أبو على الخواص : لو كان كمال الدعاء إلى الله تعالى موقوفا على إطباق الخلق لهم بالتصديق لكان الأولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله، وصدقهم قوم فهداهم الله تعالى بفضله، وكذب آخرون فأشقاهم الله تعالى بعدله، وللأصفياء والأولياء أعداء فى عصر الصحابة إلى وقتنا هذا، يؤذونهم ويتكلمون فيهم بسوء، ودليل هذا كله

قوله تعالى : { وجعلنا بعضكم لبعض فتنة } (سورة الفرقان : 20)
ولما كان الابتلاء شرفا جمع الله تعالى لخواص هذه الأمة من البلاء والمحن جميعا ماكان متفرقا فى الأمم السالفة لعو درجتهم، فقد كان عبد الله بن الزبير كثير الخشوع فى الصلاة قالوا فيه : إنه مراء زان، وصبوا على رأسه ماء حميما وهو ساجد وهو لايشعر، ومكث زمنا يتألم من رأسه . وكان لابن عباس رضى الله عنهما نافع بن الأزرق يقول : إنه يفسر القرآن بغير علم . وكان لسعد بن أبى وقاص بعض جهال الكوفة يؤذونه ويقولون إنه لايحسن أن يصلى . وقد نفى أبو يزيد البسطامى من بلده سبع مرات بأمر الحسين بن عيسى لما تكلم أبو يزيد بعلوم لاعهد لأهل بلده بها فى مقامات الأنبياء والأولياء، ولم يعد البسطامى إلا بعد الحسين، ثم بعد ذلك ألفه الناس وعظموه . وكذلك ذو النون المصرى أخرجوه من مصر إلى بغداد مقيدا مغلولا، وسافر معه أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة .

وأخرجوا محمد بن الفضل البلخى من بلخ لكون مذهبه مذهب أهل الحجديث من إجراء آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها بلا تأويل ولاتجسس على علم الله تعالى فيها، ولما أخرجه أهل بلخ قال لهم : نزع الله من قلوبكم معرفته، ولم يخرج بعد ذلك صوفى من بلخ مع أنها كانت أكثر بلاد الله صوفية . وكذلك شهدوا على الجنيد بالكفر، كان يتكلم فى علم التوحيد على رؤوس الأشهاد فصار يقرره فى قعر بيته . وعقدوا على الشيخ ابن أبى جمرة مجلسا فى الرد عليه حين قال أنا أجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فلزم بيته ولم يخرج إلا إلى الجماعة حتى مات ورموه بالكفر وبالقول بإباحة الخمر واللواط، وأنه لبس فى الليل الغيار وهو يشبه الزنار، وأتوا به مقيدا مغلولا من الشام إلى مصر . ورموا أبا مدين بالزندقة وأخرجوه من بجاية إلى تلمسان فمات ودفن بها . وأخرجوا الحكيم الترمذى حين صنف كتابه علل الشريعة وكتاب ختم الأولياء، وأنكروا عليه بسبب هذين الكتابين، وقالوا : فضل الأولياء على الأنبياء وأغلظوا عليه، فجمع الكتابين كليهما وألقاهما فى البحر فابتلتهما سمكة سنين ثم لفظتهما وانتفع بهما ورموا سعد بن عبد الله بالقبائح وأخرجوه إلى مصر حتى مات . ورموا

أبا سعيد الخراز بالعظائم والكفر بألفاظ وجدوها فى كتبه، ورموا يوسف بن الحسين بالعظائم إلى أن مات، لكنه لم يبال بهم لتمكنه . وأخرجوا أبا الحسن البوسنجى إلى نيسابور فلم يزل بها حتى مات . ورموا سحنون المحب بالعظائم، ورشوا بغيا فادعت أنه كان يأتيها هو وأصحابه . وشهدوا على الشبلى بالكفر مرارا، حتى إن من كان يحبه شهدوا عليه بالجنون وأدخلوه المارستان ليرجع الناس عنه .

وقال أحد مشائخ بغداد : لو لم تكن لله تعالى جهنم لخلقها للذين آذوا الشبللى وكفروه، وقال : إن لم يدخل الشبلى الجنة فمن يدخلها ؟ وأخرج أهل المغرب الإمام أبا بكر القابسى من المغرب مقيدا إلى مصر، فأخذ وسلخ حيا وهو يقرأ القرآن بتدبر وخشوع، وكاد أن يفتتن به الناس فرفع الأمر إلى السلطان فقال : اقتلوه واسلخوه . وكذا سلخوا النسفى بحلب وكان ينظر إلى الذى يسلخه ويتبسم، وعمل خمسمائة بيت من موشحات التوحيد وهم يسلخونه وذلك حين يقطعهم بالحجج، فاحتالوا له بأن كتبوا سورة الإخلاص فى ورقة وخاطوا عليها نعلا، فأهدوها إلى الشيخ من طريق بعيدة فلبسها وهو لايشعر، وقالوا لنائب حلب : إن النسفى كتب قل هو الله أحد وجعلها طباق نعله، فبعث النائب إليه فاستخرج الورقة، فسلم الشيخ لله تعالى ولم يذب عن نفسه، وعلم أنه لابد أن يقتل على تلك الصورة . وأخرجوا أبا القاسم البهرباذى من البصرة وأبا عبد الله صاحب أبى حفص الحداد . وشهدوا على أبى الحسن البصرى بالكفر . وتكلموا فى ابن شمعون بالكلام الفاحش حتى مات فلم يحضروا له جنازة، وتكلموا فى الإمام أبى القاسم بن جميل بالعظائم إلى أن مات ولم يتزلزل عما فيه من الاشتغال بالعلم والحديث وصيام الدهر وقيام الليل وزهده فى الدنيا حتى لبس الحصير . وقال أبو بكر السمطانى : كان أبودينار يحط على الجنيد وعلى رويم وعلى سحنون وابن عطاء الله وعلى مشائخ العراق، وكان إذا سمع واحدا يذكرهم تغيظ وتغير . وأخرجوا أبا الحسن الشاذلى من المغرب إلى مصر ورموه بالزندقة والإلحاد وتحليل المحرمات . وقتلوا الإمام أبا القاسم بن قسى وابن حيان والجونى والمرجانى، وما زالوا ينكرون على ابن العربى الحاتمى وابن الفارض

إلى وقتنا هذا، وعقدوا على عز الدين بن عبد السلام مجلسا فى كلمة قالها فى العقائد . وحسدوا تقى الدين بن الليث الأعز وزوروا عليه كلاما فى السلطان حتى هم بقتله ثم تداركه الله تعالى .

وقال السيوطى : ومما من الله تعالى على به أنه أقام لى عدوا يؤذينى ويمزق عرضى لتكون لى أسوة بالأنبياء والأولياء، واعلم أنه ماكان كبيرا فى عصر إلا كان له عدو من السفلة، إذ الأشراف لم تزل تبتلى بالأطراف اهـ . وكان سيدى أبو الحسن رضى الله تعالى عنه يقول : لما علم الله عز وجل ماسيقال فى هذه الطائفة على ماسبق به علم القديم بدأ سبحانه وتعالى بنفسه، فقضى على قوم أعرض عنهم بالشفاء، فنسبوا له زوجة وولدا وفقرا، وجعلوه مغلول اليدين، فإذا ضاق ذرع الوالى والصديق لأجل كلام قيل فيه من كفر وزندقة وسحر وجنون وغير ذلك نادته هواتف الحق تعالى : الذى قيل فيك هو وصفك لولا فضلى عليك، أما ترى إخوانك من بنى آدم كيف وقعوا فى جانبى ونسبوا إلى مالا ينبغى، فإن لم ينشرح لما قيل فيه بل انقبض نادته هواتف الحق أيضا : أما ذلك فى أسوة، فقد قيل فى مالا يليق بجلالى . وقيل فى محمد صلى الله عليه وسلام وفى إخوانه من الأنبياء والرسل مالا يليق بمرتبتهم من السحر والجنون، وأنهم لايريدون بدعائهم إلا الرياسة . قلت : وابتلى الشيخ الختم التجانى رضى الله عنه بابن ما يابى، فقد ألف كتابا مشحونا بسبه والافتراء عليه ولعنه وتكفيره وتضليله هو وأصحابه رضى الله عنهم، وما حمل جلامدة الفقهاء على الإنكار على الأصفياء إلا الحسد .

وقد قال العلامة زروق كما فى تأسيس القواعد مانصه : معنى الحسد يرجع للمضاعفة، ومقصد الحاسد إتلاف عين المحسود عليه من حسده، فإذا كانت الفضائل فى النفوس كان الحسد فى أعيانها والعمل فى إتلافها، ومن ثم اختلفت أغراض الحاسدين ومقاصدهم فلا ينسب حاسد للعامة لمثله فى السوق ونحوه إلا الخيانة والغش ونحو ذلك،

ولا حاسد الجند إلا عدم الاحترام وقلة القيام بالحقوق ونحوه ولا حاسد الفقهاء والقراء إلا الكفر والضلال ونحوه ليتلف ذاته وفضيلتها المستدامة بدعوى ما يتلفها ويستدام، ولاحاسد الفقراء إلا وجود الحيل والمخادعات، وأنه صاحب ناموس ونحوه إلى غير ذلك مما يطول ذكره فافهم اهـ .

وهذا آخر الفصل، والله سبحانه الموفق للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

---

[1]أخرجه أبوداود فى سننه كتاب الملاحم باب الأمر والنهى 121/4 ح رقم 4341 - حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود العتكى قال ثنا ابن المبارك عن عتبة بن أبى حكيم قال حدثنى عمرو بن جارية اللخمى حدثنى أبو أمية الشعبانى قال سألت أبا ثعلبة الخشنى فقلت ياأبا ثعلبة كيف تقول فى هذه الآية " عليكم أنفسكم " ؟ قال أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك - يعنى بنفسك ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام (الصبر) الصبر فيه مثل قبض الجمر للعاقل فيهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله " وزادنى غيره قال يارسول الله أجر خمسين منهم ؟ قال أجر خمسين منكم .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير باب تفسير سورة المائدة 257/5 -258 ح رقم 3058 حدثنا سعيد بن يعقوب الطلقانى حدثنا عبد الله بن المبارك إلى آخر طريق أبو داود ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الفتن باب قوله تعالى يا أيها الذين امنوا عليم أنفسكم 1330/2- 1331 ح 4041 من طريق صدقة بن خالد حدثنى عتبة بن أبى حكيم إلى آخر طريق أبو داود - وينحو روايته .

[2]ورد بلفظ . أورده الإمام السيوطى فى كتابه الإتقان 184/2 - فصل كلام الصوفية فى القرآن عن الحسن وعزاه إلى الفريابى فى كتابة وهو كتاب مازال مخطوطا .

الفصل الخامس من فصول كتاب كاشف الألباس :

فى أن علوم الأذواق المستند فيها على الكتاب والسنة

فأقول - وبالله تعالى التوفيق وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق : قال الشعرانى فى أول طبقاته مانصه : مقدمه فى بيان أن طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة، وأنها مبنية على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء، وبيان أنها لاتكون مذمومة إلا إن خالفت صريح القرآن والسنة والإجماع لاغير وأما إذا لم تخالف فغاية الكلام أنه فهم أوتيه رجل مسلم، فمن شاء فليعمل به، ومن شاء تركه نظير الفهم فى ذلك الأفعال، وما بقى باب للإنكار إلا سوء الظن بهم وحملهم على الرياء، وذلك لايجوز شرعا .

ثم اعلم ياأخى رحمك الله أن علم التصوف عبارة عن علم انقدح من قلوب الأولياء حتى استنارت بالعمل بالكتاب والسنة، فكل من عمل به انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حتى عملوا بما علموا من أحكامهم، فالتصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة إذا خلا من عمله العلل وحظوظ النفس، كما أن علم المعانى والبيان زبدة علم النحو، فمن جعل علم التصوف علما مستقلا صدق، ومن جعله عين أحكام الشريعة صدق، كما أن من جعل علم المعانى والبيان علما مستقلا صدق، ومن جعله من جملة علم النحو صدق، لكن لايشرق على ذوق أن علم التصوف يتفرع من عين الشريعة إلا من تبحر فى علم الشريعة حتى بلغ الغاية، ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيه أعطاه الله هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء، فيستنبط فى الطريق واجبات ومندوبات وآداب ومحرمات ومكروهات، وخلاف الأولى نظير مافعله المجتهدون، وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئا لم تصرح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب ولى الله تعالى حكما فى الطريق لم تصرح الشريعة بوجوبه كما صرح بذلك اليافعى وغيره، وإيضاح ذلك أنهم كلهم عدول فى الشرع اختارهم الله عز وجل لدينه، فمن دقق النظر علم أنه لايخرج شئ من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة، وكيف تخرج علومهم من الشريعة وهى وصلتهم إلى الله عز وجل فى كل لحظة، ولكن أصل استغراب من لاله إلمام بأهل الطريق أن علم التصوف من عين الشريعة كونه لم يتبحر فى علم الشريعة، ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى : علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة، ردا على من توهم خروجه عنهما فى ذلك الزمان وغيره، وقد أجمع القوم على أنه لايصلح للتصدر فى طريق الله عزوجل إلا من تبحر فى الشريعة وعلم منطوقها ومفهومها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها، وتبحر فى لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعاراتها وغير ذلك، فكل صوفى فقيه ولاعكس، وبالجملة فما أنكر أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم . وكان القشيرى يقول : لم يكن عصر فى مدة الإسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبركوا به، ولولا مزية وخصوصية للقوم لكان الأمر بالعكس ا هـ منه بلفظه . وقال

سيدى على القارى فى [1] ولمسلم " من عمل عملا ليس عليه أمرنا " وفى رواية " من أدخل فى ديننا " وهو كذلك، وفى أخرى " فى أمرنا هذا " على مافى رواية صحيحة : أى هذا الأمر الواضح الكامل الّى لايحتاج إلى زيادة إحداث ماليس منه : أى شيئا لم يكن له من الكتاب والسنة عاضد ظاهر أو خفى ملفوظ أو مستنبط، وفى نسخة " ماليس فيه فهو " أى ذلك المحدث أوذلك الشئ المحدث " ردله " مردود غير مقبول، وهذا الحديث أصل فى الاعتصام بالكتاب والسنة ورد الأهواء والبدعة ا هـ منه بلفظه . وقد صح أن سيدنا عليا كرم الله وجهه قال : لو شئت لأوقرت ثمانين بعيرا من علوم النقطة التى تحت الباء، ذكره الإمام الشعرانى فى الميزان، وذكر لنفسه أنه ذكر فى كتابه الذى سماه بالجوهر المصون فى علوم كتاب الله المكنون نحو ثلاثة آلاف علم، قال : وأخفيت فى طيه مواضع استنباطه من الآيات غيرة على علوم أهل الله أن تذاع بين المحجوبين . قال الشعرانى : وقد أخذه الشيخ شهاب الدين ابن الشيخ عبد الحق، فمكث عنده شهرا وهو ينظر فى علومه، عجز عن معرفة موضع استخراج علم واحد، فقال لى : وضعك هذا الكتاب فى هذا الزمان لأى شئ ؟ فقلت : وضعته نصرة لأهل الله تعالى، لكون غالب الناس ينسبهم إلى الجهل بالكتاب والسنة، فقال لى : أنا أقول فى نفسى : إنى عالم مصر والشام والحجاز والروم والعجم، وقد عجزت عن معرفة استخراج نظير علم واحد منه من القرآن ولا فهمت مما فيه شيئا، ومع ذلك فلا أقدر على رده من كل وجه، لأن صولة الكلام الذى فيه ليست بصولة كلام مبطل ولا عامى اهـ منه بلفظه .

قلت : قال الله تعالى { ونزلنا عليك الكتب تبينا لكل شئ }(سورة النحل 89) وقال تعالى : {ما فرطنا فى الكتاب من شئ } وقال تعالى: {ويخلق مالاتعلمون } . وانظر إلأى جواب سيدنا على كرم الله وجهه لما سأله أبوجحيفة : هل عندكم كتاب حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال لا، إلا كتاب الله تعالى : { سبحن الذى أسرى بعبده } (سورة الإسراء : 1) . انظر صحيح البخارى [2]. وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعاءين : أما أحدهما فبثثته لكم، وأما الآخر فلو بثثته قطع منى هذا البلعوم . وفى تذييل الشيخ سيدى المختار رضى الله عنه : وكان يعنى أبا هريرة يقول : أخذت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابى علم، أما أحدهما فقد بثثته، وأما الآخر فوالله لو قلت منه كلمة واحدة لقطعتم هذا البلعوم [3] قبل أن أتمها، وفى مثل ذلك يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه :

يارب جوهر علم أبرح به ... لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمى ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

لأن الحقائق الربانية لايستطيع حمل أعبائها إلا من أهله الله لذلك وشرح صدره لما هنالك، إذ لايقدر على حملها إلا نبى كريم أو ولى حكيم . قال جعفر الصادق : لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة . فلاطفه الحق غاية الملاطفة، إذ يقول : {فأوحى إلى عبده ماأوحى } (سورة النجم :10) أى فكان ماكان وجرى ماجرى، وقال الحبيب للحبيب مايقوله الحبيب للحبيب، فخفى السر إذ عظم الأمر، ولذلك لم يطلع عليه أحد، فلم يعلم ما أوحى إلا الذى أوحى . فأبهمه لعظمه لأن الإبهام لايقع إلا للتعظيم فهو مبهم لايطلع عليه أحد . بل يتعبد بالإيمان به، وقيل بل علمه النبى صلى الله عليه وسلم لخواص أمته أهل وراثته، فهو العلم اللدنى وهو الذى لايحاط بكنهه ولايطيق حمله إلا أهله من أقطاب هذه الأمة الشريفة . وذكر الفخر الرازى عن والده قال : سمعت أبا القاسم سليمان الأنصارى يقول : لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم إلى الدرجة العالية والمراتب الرفيعة فى المعارج أوحى الله تعالى إليه : يامحمد تم شرفك، قال : يارب بنسبتى إليك بالعبودية .

قال الله تعالى : { سبحن الذى أسرى بعبده } (سورة الإسراء : 1) فسماه الله تعالى بهذا الإسراء عبدا لتحققه صلى الله تعالى عليه وسلم

بالاسم الأعظم، فلا يصلح هذا الاسم بالحقيقة إلا له صلى الله عليه وسلم وللأقطاب من بعده من أمته تبعا لاحقيقة، ويطلق على غيرهم مجازا دون حقيقة، وفى رواية (لما خلوت بربى أوحى إلى ثلاث علوم رة : 115 علم أخذ على العهد بكتمانه إذ قد علم أنه لايطيق حمله غيرى، وعلم أمرنى بتبليعه لخواص أمتى وهم أبدال الأنبياء، وعلم أخذ على العهد بتبليعه للعام والخاص، وعلمنى القرآن فلقد عاجلت جبريل فى آية منه فعاتبنى ربى فقال - {ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقال رب زدنى علما } وفى رواية " فلما أدنانى ربى حتى كنت كما قال تعالى : قاب قوسين أو أدنى، قال : وسألنى ربى فلم أستطع أن أجيبه، فوضع يده بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد حتى وجدت بردها على فؤادى فأورثنى علم الأولين والآخرين وعلمنى علوما شتى، فعلم أخذ على العهد بكتمانه إذ علم أنه لايطيق حمله أحد غيرى، وعلم خيرنى فيه، وعلمنى القرآن، فكان جبريل عليه السلام يذكرنى به، وعلم أمرنى بتبليغه للعام والخاص من أمتى، أخرجه من رواية أبى هريرة ا هـ قلت : قال الله تعالى : { فأينما تولوا فثم وجه الله }(سورة البقرة : 115) وقال تعالى : { وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا } (سورة الإسراء : 81) وقال تعالى : { بل نقذف بالحق على البطل فيدمغه فإذا هو زاهق } (سورة الأنبياء : 18) وقال تعالى : {ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا } (سورة غافر : 12) وقال تعالى { هو الأول والآخر والظهر والباطن وهو بكل شئ عليم } (سورة الحديد : 3) وقال تعالى : { سنريهم ءايتنا فى الأفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق } (سورة فصلت : 53) وقال تعالى : { الرحمن على العرش استوى } سورة طه : 5) وقال تعالى : { قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العبدين } (سورة الزخرف :81) وقال تعالى : { من يطع الرسول فقد أطاع الله } (سورة النساء : 80) وقال تعالى : { إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم } (سورة الفتح : 10) وقال تعالى : { وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} (سورة الأنفاق: 17) وقال تعالى : { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم} (سورة آل عمران : 31) وقال تعالى : { وءامنوا بما نزل على محمد رسول الله } (سورة الفتح 28،29) الآية وقال تعالى : {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين

أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشعداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا } (سورة النساء : 69) وقال تعالى : {والذى جاء ت خلقا فتعرفت لهم فبى عرفونى " [4] وصدق به أولئك هم المتقون } (سورة الزمر : 33) وقال تعالى : {وكأين من ءاية فى السموت والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون} (سورةيوسف:105) وقال تعالى :{وفى أنفسكم أفلاتبصرون } (سورة الذاريات :21) وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه " كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقا فتعرفت لهم فبى عرفونى " [5] وقال " فإذا أحببته كنته " وقال " كان الله ولا شئ معه " وقال على : وهو الآن على ماعليه كان . وقال : " أصدق كلمة قالها الشاعر . كلمة لبيد : ألا كل شئ ماخلا الله باطل "

وقال أيضا فيما يرويه عن ربه: " لم تسعنى أرضى ولاسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن " [6] وهذه الآيات والأحاديث فيها أمور لاتذكر وأسرار لاتفشى .

ستكفيك من ذاك الجمال إشارة ... ودعه مصونا بالجلال محجبا

آخر :

ومستخبر عن سر ليلى رددته ... بعمياء على ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فأنت أمينها ... وما أنا إن خبرتهم بأمين

آخر :

وإذا لم تر الهلال فسلم ... لأناس رأوه بالأبصار

وهذا آخر ما أردنا جمعه فى هذا الفصل، والله الموفق للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

[1]أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الصاع باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود 177/2 ح 2697 ومسلم فى صحيحه كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور 1343/3ح رقم 1718 من طريق ابراهيم بن سعد إلى آخر سند البخارى ولفظه . وفى الباب عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه 7/1 عن عائشة بنفس رواية البخارى

[2]أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب العلم باب كتابة العلم 73/1 ح 111 - حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا وكيع عن سفيان عن مطرف عن الشعبى عن أبى جحيفة قال قلت لعلى هل عندكم كتاب قال لاإلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو مافى هذه الصحيفة قال قلت فما فى هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الديات باب ماجاء لايقتل مسلم بكافر 24/4-25ح رقم 1412 حدثنا أحمد بن منيع حدثنا هشيم أنبأنا مطرف عن الشعبى حدثنا أبوجحيفة قال قلت لعلى ياأمير المؤمنين هل عندكم سوداء فى بيضاء ليس فى كتاب الله ؟ قال : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ماعلمته إلا فيهما يعطيه الله رجلا فى القرآن ومافى الصحيفة قلت وما فى هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر - وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه الإمام النسائى فى سننه كتاب القسامة باب سقوط القود من المسلم للكافر من طريق سفيان عن مطرف إلى آخر طريق الترمذى ولفظه ج 8 ص 23 .

وأخرجه أحمد فى مسنده 79/1 بنفس طريق النسائى ومثل رواية الترمذى .

[3]أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب العلم باب حفظ العلم 75/1 ح 120 حدثنا اسماعيل قال حدثنى أخى عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكره .

45 أورده العجلونى فى كشف الخفاء 191/2و قال العجلونى قال القارى لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } (سورة الذاريات : 56) أى ليعرفونى كما فسره ابن عباس رضى الله عنهما والمشهور على الألسنة كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا فبى عرفونى وهو واقع كثيرا فى كلام الصوفية

وأورده ابن عراق فى كتابه تنزيه الشريعة 148/1

46أورده الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين " اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين " 234/7 كتاب عجائب القلب باب أمثال القلب بالإضافة إلى العلوم وأورده العجلونى كشف الخفاء 273/2 وقال ذكره الغزالى فى الإحياء

وأورده ابن عراق فى تنزيه الشريعة 148/1

الفصل السادس من فصول كتاب كاشف الألباس:

فى مدار التربية فى الطريقة التجانية

الكاتب :فضيلة الشيخ إبراهيم نياس

فأقول - وبالله التوفيق وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق :

مدار التربية التجانية دائرة على قطبين : الأول إقامة الصلوات الخمس بشروطها . والثانى الصلاة على النبى آناء الليل وأطراف النهار بنية امتثال الأمر والتعظيم والإجلال والمحبة، وهذا بعد التزام الورد اللازم الذى يصح به قوام تجانيتك . قال الشيخ الأجل والقدوة المبجل أبو المواهب السيد العربى بن السائح كما فى البغية مانصه : ومدار التربية والتزكية فى طريقتنا هذه المحمدية الشريفة المرضية على إمامة الورد الأصلى المعلوم الذى لايصح الدخول فيها بدونه لأحد من الخصوص ولا من العموم وكذا توابعه من الأكار المشمولة باللزوم معه وهى الوظيفة المعروفة وذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة بالمحافظة فى جميع ذلك على الشروط المشروطة والآداب التى هى بغاية الحسن ونهاية الكمال منوطة وآكد الشروط وأعظمها المحافظة على الصلوات الخمس بآدابها على الحد المحدود لها شرعا بقدر الإمكان واستكمال شروطها وآدابها، وتمام جميع مالها من الأركان، ثم عمارة مايقدر على عمارته من الأوقات والساعات بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم خصوصا بصلاة الفاتح لما أغلق التى هى من أسمى الذخائر وأسنى البضاعات على طريق المحبة والشكر والاعتماد على الفضل المحض الذى ليس إلا عليه فى بساط التحقيق المعول من غير التزام خلوة ولا كثرة مجاهدة ولا غير ذلك مما اصطلح عليه فى التربية من بعد الصدر الأول إذ هذه هى طريقة سيدنا رضى الله عنه

التى سلكها وأمره بالتسليك بها سيد الوجود ومنبع الإمداد والجود صلى الله عليه وسلم .

وفى جواهر المعانى أنه صلى الله عليه وسلم بعد ما اعلم سيدنا رضى الله عنه بأنه هو الواسطة بينه وبين الله تعالى والممد له على التحقيق، وصرح له بأنه هو كفيله ومربيه دون غيره من مشائخ الطريق، وأخبره أنه لامنة لواحد منهم عليه، لأن جميع مايصله من الله تعالى فعلى يده صلى الله عليه وسلم بواساطته ومنه إليه، قال دخول فى هذه الطريق الأحمدية وجذبه جاذب العناية إلى الانخراط فى له فى وصيته التى أوصاه بها : الزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس حتى تصل مقامك الذى وعدت به وأنت على حالك من غير ضيق ولا حرج ولاكثرة مجاهدة ا هـ . ويرحم الله تعالى العارف البوصيرى رضى الله عنه حيث قال فى داليته :

والفضل ليس يناله متوسل

بتورع حرج ولا يتزهد

إن قيل ذاك هو الدواء فقل له

كحل الصحيح خلاف كحل الأرمد

يمشى المصرف حيث شاء وغيره

يمشى بحكم الحجر مشى مصفد

وقال فى الجواب الشافى: فلم يبق لمن ساقه سائق السعادة إلى الدخول فى هذه الطريق الأحمدية وجذبه جاذب العناية إلى الانخراط فى سلك أهل هذه السلسلة المحمدية، وأهلهالله تعالى بفضله بمشاهدة هذه الخصوصية العظمى، وأوقعه بجوده على هذا الكنز الأعظم والذخر

الأسمى، إلا أن يلقى القياد إلى هذا الأستاذ الأعظم . ويختم على بابه ويعكف على أعتابه على طريق المحبة والتسليم وسلب الإرادة له والتحكيم، ويداوم على ورده المحمدى الشريف بالمحافظة التامة على شروطها المشروطة، والوقوف بغاية الجهد عند حدوده المضبوطة حتى يأذن الله تعالى له بالفتح وهو على حاله من غير خلوة ولامجاهدة ولا غير ذلك من وجوه الرياضات المعروفة فى اصطلاح من بعد الصدر الأول، فإنه إن داوم عليه على الوجه الموصوف إما أن يفجأه الفتح أو يهجم عليه هجوما، وإما أن يمن الله تعالى عليه برفع الحجاب عن عينمى قلبه فيصير يجتمع بروحانية الشيخ رضى الله عنه أو روحانية النبى صلى الله عليه وسلم، فتكون تربيته بطريق الاستفاضة من أحدهما أو منهما معا { ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم } (سورة المائدة : 54) وما فى جواهر المعانى من اشتراط استحضار صورة الشيخ رضى الله عنه أو صورة النبى صلى الله عليه وسلم حال ذكر الورد يشير إلى هذا المعنى لمن قدر على ذلك، وقد بسط الكلام فى ميزاب الرحمة الربانية فى بيانها، وإما أن يقيض الله له أخا فى الطريق يقوم بأعباء تربيته، يشهده الله تعالى سر خصوصيته، ويزيل بينه وبينه حجاب بشريته، فيسير به إلى الله تعالى فى سره وعلانيته اهـ منه بلفظه .

ومن كان فتحه على الوجوه المذكورة يكون نوره تاما، لأن الفتح بحسب المتبوع كما قال الشيخ زروق : فتح كل أحد ونوره على حسب فتح متبوعه ونوره، فمن أخذ عن نصوص الكتاب والسنة، ففتحه ونوره تام إن تأهل لأخذه منهما، ولكن فاته نور الاقتداء وفتحه، ولذلك تحفظ الأئمة عليه حتى قال ابن المدينى رحمه الله : كان ابن مهدى يذهب لقول مالك، ومالك يذهب لقول سليمان بن يسار، وسليمان يذهب لقول عمر بن الخطاب، فمذهب مالك إذا مذهب عمر رضى الله عنه . وقال الجنيد رحمه الله : من لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء ويأخذ أدبه عن المتأدبين أفسده من اتبعه، قال الله تعالى : {قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى }(سورة يوسف :108) الآية، وقال عز من قائل { ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله

}(سورة الأنعام :153) الآية، فافهم . ولا بأس أن نورد هنا بعض أشعارنا فى هذا المحط لما اشتملت عليه من الإشارات التى تربى الصادق، بعضها فى حق السالك، وبعضها فى حق المجذوب، فمن ذلك قولنا :

نصيحة من يلقى إلى المسامعا ... ويبغى صراط المهتدين مسارعا
ليأخذ طريق الشيخ من إذن أهله ... وليسوا سواء واصحبن متابعا
وما الورد إلا استغفروا ثم هللوا ... وصلوا على المختار وارع المجامعا
بشرط حضور القلب مقطوع نظرة ... عن الخلق واحفظ فى النصيحة سامعا
ولاتعتمد إلا على فضل ربنا ... لما فيك من عجز فما أنت نافعا
بذاك شهود لامتنان إلهنا ... فلا تلف ذا عجب لسعى فخاضعا
وتحسين ظن بالإله محتم ... وفوض إليه الأمر ولتك خاشعا
صلاة وتسليم من الحق دائما ... لأول موجود وآخر جامعا

ولنا أيضا :

فدع عنك المغانى والغوانى ... ودع عنك الموائد والمبانى
وصاحب كل قرم حاز جمع الشر ... يعة والحقيقة غير وان
أخا ورع وزهد ليس يلفى ... له هم يزيد على التفان
وحاذر من هوى نفس وحاذر ... أخا ميل له مر الأوان
وملكه القياد وأنت تدرى ... بأن ما فوقه فى الشأن ثان
تحقق أنه قد دك جهرا ... وأوصله المقدس بالتدانى

وقربه وقدسه ونادى ... له بالإذن مقول كل دان
ليهنئك الوصول متى تراه ... ورؤيته أعز لدى العيان
صلاة الله يصحبها سلام ... على المختار من تال وثان

ولنا أيضا :

أوصيكم معاشر الأقران ... بالصبر والصفح عن الإخوان
بالقيل والقال فلا تشتغلوا ... وبصلاة الفاتح القلب اشغلوا
فلتعلموا بأن مايشاء ... إلهنا يكون لاتشاءوا

ولنا أيضا :

عليكم بالنفوس إذا اهتيتم ... فما ضر المرشد ذو الضلال
ومهما قيل أنتم فى ضلال ... كفى علم المهيمن ذى الجلال
وإن صرم الوصال أخووصال ... وواصلنا المهيمن لا نبال
وإن تمرر بلغو كن كريما ... فما نقص الكلام أخا الكمال

ولنا أيضا :

محمد بن ملك فلتذكرا ... أورادنا والقلب منك احضرا
واخرج من الخلق جميعا والأثر ... ولتطلب المولى سواه خل ذر
نصيحة تغنيك وهى تغنى ... كل المريدين فهاك عنى

ولنا أيضا :

أوصيك يا مجذوب أن لاترحلا ... خواطرا سوى إلى الحق علا
لا ترحلن من عدم لعدم ... فإن ذاك فعل مجنون عمى
فإنما ذا العالم السفلى ... طرا كذاك العالم العلوى
مافيه من نفع ولا من ضرر ... لقيا المؤثر بترك الأثر
عليك بالله فلا تشتغل ... بما سواه إن ذا تقوى الولى

ما الشأن فى كشف المكونات ... ولا اطلاع بالمغيبات
فالله أقرب وأعلى وأجل ... فلتصرف الأوقات فى الإله جل
وصلين على الرسول المصطفى ... له الوسيلة له قبل اصطفا
صلى عليه الله ماتجلى ... فى قلب من زكا إذا تخلى

ولنا أيضا :

يأأيها المجذوب إن لم تسلك ... فأنت أبتر فويك فاسلك
وأيها السالك إن لم تجذب ... فأنت محجوب فسائر وانصب
وإنما الكامل من قد جمعا ... بين المقامين فهذا من سعى
جعلنا الله من الذينا ... قد جذبوا حقا ويسلكونا
بجاه نجل الحاج عبد الله ... مرشد كل غافل ولاه
إمام أهل الفيضة التجانى ... فى عصره وحجة العرفان
وجاه ختم سلكنا التجانى ... وجاه جده النبى العدنانى
صلى عليه الله سرمدا أبد ... من أزل الأزل فالله أحد

ولنا أيضا :

فلا ينبغى للواصلين تصدر ... قبيل وجود الإذن فالسر يستر
ويعجبنى الصمت الطويل فإنه ... دليل على العرفان والحال مخبر

ولا خير فى التعبير فى كل محفل ... قد انتقل الإسراس من حيث يجهر
رعانا إله العرش بالسر سره ... عليه صلاة الله فهو المدبر

ومن أراد شيئا زائدا على هذا فعليه بمصاحبة الرجال، وخدمة أهل الكمال .

وهذا آخر ما أردنا جمعه فى الفصل . والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب .

فهرست كتاب

كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبى العباس

لمؤلفه شيخ الإسلام الحاج إبراهيم انياس

(ملتزم الطبع والنشر الشيخ التجانى علي سيس)

الإيداع رقم 2001/4264-الشركة الدولية للطباعة

الفصل الأول فى حقيقة التصوف وأصل تلقين الأذكار ومبادى التصوف العشرة ص 39-49
ب- الفصل الثانى فى فضيلة الذكر وأنه أقرب الطرق إلى الله تعالى ص50-62
ج- الفصل الثالث فى الاجتماع للذكر والترغيب فى قراءة القرآن والاجتماع لها......ص63-85
الباب الثانى
ا- الفصل الأول فى ذكر الفيضة التجانية وما قال عنها الشيخ التجانى رضي الله عنه
ورجال طريقته بعده وما يؤيده من الكتاب والسنة ...ص86-104
ب- الفصل الثانى فى أن علوم الأذواق المستند فيها علىالكتاب والسنة.........................ص105-112
ج- الفصل الثالث فى مدار التربية فى الطريقة التجانية.................................ص113-118

الباب الثالث

: ا- الفصل الأول فى التحذير من الإنكار ومن يجوز له
.................................ص119-133
ب- الفصل الثانى فى وجوب طلب الشيخ المربي وصفته وحال المريد معه....................ص134-146
ج- الفصل الثالث فى تحقيق الرؤية التى تدعى الرجال وما قال العلماء فى رؤية
البارى جل
وعلا...ص147-156

الخاتمة

: فى مستندنا فى طريق الختم التجانى وفى أسرارها
وعلومها...................................ص157-164

تذييل للمؤلف

:- قول الشيخ سيد المختار الكنتي : والعجب كل العجب من إنكار القراء من أهل العصر
لكرامات الأولياء وادعائهم انقطاع التربية....معتمدين على ما حكي عن زروق رحمه الله
وفيه الكلام عن فضل آخر هذه
الأمة..ص167-176
- بحث فى الاختلاف المذموم وأصول
البدع...ص177-184
- مراسلة الشيخ محيي الدين بن العربي للشيخ فخر الدين الرازى رضي الله عنهما...........ص184-185
- فصل فى كلام بعض العلماء عن التصوف : كالشعرانى والقشيري والجنيد ومحيي الدين وابن المبارك
وزروق والصاوى...................................ص176-192
-التعريف بورد الطريقة التجانية وذكر فضل ما اشتمل عليه:
فضل "أعوذ بالله من الشيطان
الرجيم"...................................ص192-195

فضل قراءة البسملة متصلة
بالفاتحة.......................ص195-198
فضل الفاتحة ص198-199
فضل
آمين...ص
201-199
فضل الاستغفار..
.....ص201-207
فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم...........ص207-210
فضل صلاة الفاتح لما أغلق وما خصها الله به من علو
المرتبة.......................ص210-212
فضل "سبحان ربك رب العزة عما يصفون
...الآية.........................ص212-213
حديث صلاة
التسبيح...ص
217-214
فضل"لا اله الا
الله"..ص217
-231
- التعريف بأذكار الوظيفة
التيجانية.............................ص232-242
شرح صلاة الفاتح لما
أغلق......................................ص234-235
فضل ومزايا جوهرة الكمال
....ص236-237
قول ابن حجر فى الفتاوى: وأوراد الصوفية التى يقرؤونها بعد
الصلوات على حسب
عاداتهم فى سلوكهم لها أصل
أصيل.............................ص238-239
كلام المؤلف فى آداب الأخذ عن المشائخ
.................................ص239-242

- التعريف بذكر الهيللة عصر يوم الجمعة...ص242-243
- فصل فى الكلام على شطحات المجاذيب..ص244-253
بحث للعلامة الشعرانى فى لطائف المنن تناول فيه بعض أقوال رجال التصوف كقول شيخ الطائفة الجنيد: مكثت زمانا وعندي وقفة فى قول بعضهم:"إن الذاكر لله تعالى يصل إلى حالة لو ضرب بالسيف لم يحس إلى أن وجدت الأمر كما قال".................................ص244-245
- قول السر السقطي: "لافرق بين قول العبد إن الله خلقني ص246
- قول الإمام الليث بن سعد: "أنا أعرف شخصا منذ وعى على نفسه ما عصى ربه قط.............ص246
- قول أبي العباس المرسي: "والله ما سارت الأبدال من قاف إلى قاف إلا ليصادفوا رجلا مثلي...وكقوله:
"والله لو احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة واحدة ما عددت نفسي من جملة المسلمين.ص246
- كلام الشيخ أبو الحسن الشاذلي-كلام الشيخ أبى المواهب- كلام الشيخ جلال الدين ص247
"لا يسوغ الانكار شرعا إلا إذا لم يقبل التأويل"..ص248
كلام العلامة ابن حجر فى فتاويه عن شطحات الأولياء.................................ص249-253
فصل فى أن قول المريد الفانى فى حال سكره وغيبته رأيت الله...لا ينبغي أن ينكره من لا معرفة له...ص254-
ابن العربي الحاتمي فى كتابه الفتوحات المكية عن الرؤية وأهلها ص254
كلام الونشريسي فى المعيار عن جواز رؤية البارى جل وعلا..................................ص256

كلام البرسوي فى تفسره روح البيان عن مراتب
التوحيد...ص257
شرح البيتين - فهذه الحقيقة النفسيه موصولة بحضرة قدسية
وإنما عوقها الموضوع ومن هنا بتدئ الطلوع- فى الفتوحات الالهية
لابن عجيبة......ص258
قول المؤلف : ولما تجلى من أحب تكرما وأشهدني ذاك الجناب
المعظما...الخ 7 أبيات............ص259
كلام شخنا التجاني رضي الله عنه فى جواهر المعانى حول التعبير عن
الرؤية.......................ص260
قصيدة: "آبني الزور هدءة الرقاد فاعترى القلب منه مثل العداد" فى
الرد على المنكرين ....ص 263
فصل فى أن رؤية الله بالبصر فى الدنيا
جائزة...ص266-
271
كلام الشعراني فى
الدرر..
ص266.
كلام ابن الزياتى فى فرائد
الفوائد...ص
269
فصل فى أن: من تقرب إلى الله شبرا تقرب إليه ذراعا...، ولم يخص
بذلك متقدما ولا متأخرا.........ص272
فصل: التأنيث لا يمنع اللحوق بعباد الله المصطفين
الأخيار..ص279
فصل فى مواجد المجاذيب والمحبين وتولههم بذكر الله
الخ...ص285
فصل: سئل الشيخ سيد المختار ما العلة فى منع تلاوة القرآن فى
الخلوة؟......................ص287
تقريظ العلامة المبرز محمد عبد الرحمن بن السالك بن باب
العلوى.............................ص289
تقريظ الشاعر الفقيه محمد عبد الله بن السيد محمد المختار

العلوى..........................ص290
تقريظ العلامة المحقق أحمد ابن السيد محمد المختار بن السيد محمود الحنف العلوى................ص291
تقريظ العلامة القاضى محمد عبد الله بن المصطفى ص292
تقريظ فتى الفتيان السيد محمد عال بن فتى العلوى.....................................ص293
تقريظ الفتى الأديب السيد محمد بن السلك ص294
تقريظ العلامة الأورع الأستاذ السيد محمد سالم بن قثم الشمسدي العلوى..................ص295
فهرست كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس......................................ص299
فهرست التذييل...ص304